دكتور
محمد الهواري
كلية الآداب - جامعة عين شمس

الختان في اليهودية والمسيحية والإسلام

الطبعة الأولى
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

((ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))

(صدق الله العظيم)

إهداء

إلي إبني .. خالد

الذي ولد مع مولد هذا الكتاب ..

واختتن متبعا ملة إبراهيم حنيفا ..

و علي سنة المصطفي عليهما الصلاة و السلام ..

بابا

المقدمة

يعتبر الختان عادة قديمة جدا مارستها شعوب مختلفة في أرجاء شتي من العالم . و تشير الإحصاءات إلي أن نسبة المختونين الذكور في عالم اليوم تصل إلي ١ : ٧ تقريبا من مجموع المواليد الذكور.(١)

و مما لا شك فيه ، أن الأديان السماوية ـ اليهودية و المسيحية و الإسلام ـ تتفق علي أن إبراهيم عليه السلام قد أُختتن . و يتبع اليهود و المسلمون أينما كانوا، سُنَّة إبراهيم عليه السلام في الختان ، كما اتبعها المسيحيون في فترتهم الاولي ، حيث تشير نصوص العهد الجديد إلي ختان عيسي عليه السلام في اليوم الثامن لولادته ، كعادة اليهود اللذين نشأ في وسطهم . و منذ زمن بولس ، تحولت المسيحية عن ختان الجسد، و أبرزت أهمية ختان القلب و الروح، أي المعمودية .

و مع ذلك،لم تنكر المسيحية أبدا ختان إبراهيم عليه السلام.

و إذا كان الشائع الآن هو أن الختان عادة يمارسها المسلمون و اليهود، فمن الثابت أيضا أن كثيرًا من القبائل و الشعوب ـ غير المسلمين و اليهود ـ تجري عمليات الختان لأسباب بعيدة تماما عن اتباع سُنَّة إبراهيم عليه السلام. فقد عرفتها شعوب و قبائل متعددة في أفريقيا ولا زالت تجريها حتي الآن ، و مارسها كذلك التتار و القبائل البولينيزية و الميلانيزية و كثير من أبناء استراليا و قبائل هندية منتشرة في أنحاء أمريكا . و يبدو أن نشأة عادة الختان و بداية ممارستها وسط

---

(1) The Universal Jewish Ency.,Vol.3,P.211.

هـذه الشعوب تعود إلى أزمنة موغلة في القدم حتي يصعب على المرء التحقق من أصولها و جذورها.

و قد اختلفت الأسباب و الدوافع التي دفعت هذه الشعوب و القبائل لممارسة عادة الختان، فهناك أسباب دينية و عقائدية، و أسباب طبية و صحية ، و أسباب أخلاقية ، و غيرها . كما اختلفت هذه الشعوب و القبائل عن بعضها البعض في طريقة إجراء عملية الختان ، و كذلك في الطقوس و الإحتفالات المصاحبة لهذه العملية.

و جدير بالذكر ، أن الختان انتشر أيضا في عصرنا الحاضر وسط العالم الغربي (المسيحي) لأسباب طبية و صحية .

و يعتبر الختان من أهم الشعائر الدينية عند اليهود ، و ينسبونه دائما إلى إبراهيم (عليه السلام) باعتباره الأمر الأول الذي تلقاه من الرب ، و هو عندهم بمثابة علامة من علامات حلف الدم بين يهوه و بني إسرائيل.

و من القضايا الهامة التي تعرضنا لها في هذه الدراسة، (أصل الختان و نشأته) في تاريخ البشرية . فالختان لم يبدأ بدايته الأولي بختان إبراهيم عليه السلام ، خاصة إذا ما عثرنا في الإكتشافات الآثارية على ما يؤكد وجوده عند شعوب قديمة تسبق عصر إبراهيم (عليه السلام) بزمن طويل . و إذا كان من الشائع عند غالبية العلماء الآن ، أن الختان في اليهودية مأخوذ عن المصريين القدماء ـ منذ الفترة التي عاش فيها العبريون في مصر قبل خروجهم منها بقيادة موسي

عليه السلام - فإننا في هذه الدراسة لم نذهب إلى هذا المذهب ، و لم نعتبر هذا الرأي - الراسخ عند الغالبية - من الفرضيات المؤكدة و المُسَلَّم بها.

و قد حاولنا في هذه الدراسة الإجابة على عدة قضايا رأينا أنها تشكِّل أهم الجوانب في موضوع "الختان"، عسى أن يكون التوفيق قد حالفنا عند اختيارنا النقاط التي احتوتها فصول هذه الدراسة، على نحو أرجو أن يغطي معظم ما يود القارئ أن يجد إجابة عنه في مثل هذا الموضوع.

و ما توفيقي إلا بالله...،،

محمد الهواري

إختصـــــارات

فـي هـذه الدراسـة تكـررت الإشـارة إلـي بعـض أســـــفار الكتـاب المقـدس : العهـد القديم و العهـد الجـديد، مما دعانا إلــي كتابتها فـي صـورة مختصـرة ، علـي النحـو التالــي:

تك : سـفر التكـوين

خر : سـفر الخـروج

لاو : سـفر اللاوييـن

تث : سـفر التثنيـة

يش : سـفر يشـوع

أشع : سـفر أشـعياء

أر : سـفر أرميـاء

حز : سـفر حزقيـال

لو : إنجيل لوقـــا

يوح: إنجيل يوحنـــا

أع : أعمال الرســل

رو : رسالة بولس الرسول إلي أهل رومية.

كور(١): رسالة بولس الأولي إلي أهل كورنثوس.

غلا: رسالة بولس الرسول إلي أهل غلاطية.

أفس: رسالة بولس الرسول إلي أهل أفسس .

كول: رسالة بولس الرسول إلي أهل كولوسـي.

بر : إنجيل برنابـا.

* * *

الفصـــــــــــل الأول

الختـــان

معناه واشتقاقه و مسماه

الختان[1]: مصـدر خَتَنَ ، أي قطـع ؛ و يقال: ختن الغـلامَ و الجاريـةَ يَخْتِنهما و يختُنهمـا ختنـاً. و ختنَ الولـد يختنـه ، فهـو ختين و مختـــون ، أي قطـع غرلته . و الخَتْن : قطع بعض مخصـوص من عضـو مخصوص ،والخَتْن: فعل الخاتن . و الخِتانـة: صناعة الخاتن . و قيل : الختن للرجال،و الخفـــض للنسـاء. و الختين: المختون ، للذكر و الأنثي فـــي ذلك ســـواء.

و الختان : اســـم لفعل الخاتن ، و اسم لموضع الختـــان أيضا، أي اســـم لموضـع الختن من الذكـر ، و موضع القطع من نواة الجارية ؛ فهـو اســـــم لموضع القطع من الذكر و الأنثي[2]. فقـد ورد فـــي الحـديث الشـريـــف عن أبي هريرة رضي اللـه عنه ، عن النبي صلي اللـه عليـــه و ســـــــــلم،

---

(١) في الإنجليزية Circumcision ، و فـــي العبريـــة מִילָה بمعني: ختان : طهـور، قطـــع القُلْفَـــة.

(٢) انظر في ذلك : ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكـــــرم)، لسـان العرب ، مج ١٣ ، بيروت ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م ، ص ١٣٧ (ختـــن)؛ القسطلاني(أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد) ، إرشاد الســـاري لشـرح صحيح البخاري و بهامشه صحيح مسلم بشرح النووي ، مج ٩، بيـــروت ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م، ص ١٦٩؛ الكاندهلوي (محمد زكريا) ، أوجز المسـالك إلي موطَّأ مـالك ، ج ١٤، ط٣،بيروت ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠ ، ص ٢٣٧؛ ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل) ، المخصص ، مج ١ ، السفر الثاني،بيـــروت، ص ٣٢ .

أنـه قال: (إذا جلس بين شُعَبِها الأربـع [١] ثم جَهَدَها [٢] فقـد وجَبَ الغَسْلُ) ، و فـي روايـة أخـري ، ورد بلفـظ (وألزق الختـان بالختـان) ، بـدل قـوله :"ثم جـهدها"، و رواه مسـلم من طريق أبـي موسـي الأشعري بلفظ: (و مسّ الختانُ الختانَ) ، و رواه البيهقـي من طريق ابن أبي عروبة ، عن قتادة مختصرًا ، و لفظه: (إذا التقي الختانـان فقـد وجـب الغسـل [٣].

فالختانـان ـ كما ورد فـي الحديث ـ هما موضع القطع من ذكـر الغـلام و فـرج الجارية ، و يقال لقطعهما الإعْذارُ و الخَفْضُ [٤]. و قال النـووي : يسـمي ختان الرجل إعـذارًا، و ختان المرأة خفضًا. و قال أبو شـامـة : كلام أهـل اللغة يقتضي تسمية الكل إعذارًا ، و الخفـض يختـص بالنسـاء [٥]. و قيل عَذَرت الغلامَ و الجاريةَ واعذرتهما ، أي ختنتهمـا . و الإعذار: طعـامُ الختان . و الجلدة التي تقطع عند ختان الغلام تسـمي الغُرْلة ، و هي الكُمَّـة ، و هـي العُـذْرة [٦] . و يسمي غير المعذور : أغلـف و أقلـف .

---

(١) جمع شعبة ، أي اليدان و الرجلان ، أو الرجلان و الفخذان ، أو الرجلان و الشـفران .

(٢) بلغ مشقتها ، و قيل : جامعها.ـ انظر : عمارة (مصطفي محمد)، جواهر البخاري و شرح القسطلاني، بيروت ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م ص١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٣) العسقلاني (أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجـر)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مراجعة وتقديم و تعليق : طه عبد الرؤوف سعد و مصطفي محمد الهواري و السيد محمد عبد المعطي ، ج ٢ ، القاهـرة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ ، ص٢٠٥ ؛ عمارة، ص ١٠٧ـ ١٠٨ .

(٤) ابن منظور ، ص ١٣٧ (ختـن) .

(٥) الكاندهلوي ، ص ٢٣٧ ، انظر كذلك : ابن قيم الجوزية (الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر)،تحفة المودود بأحكام المولود، ط٢ بيروت ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ص ١١٩ .

(٦) ابن سيده، ص٣٢ ، ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود بأحكام المولود ص١١٩ .

و الخافضة : هي (الخاتنة)،و قولنا : "خُفِضَت الجارية" كقولنا "خُتِن الغلام"، لكن الخفض خاص بالإناث . و قيل : خَفَضَ الصبيَّ يخفضه خفضًا ، أي: خَتَنَه، فاستُعمل لفظ "الخفض" مع الذكور ، لكنه أكثر استخدامًا مع الإناث. و قد يقال للخاتن: "خافض" ، لكنه إستخدام غير شائع بكثرة(١).

و الختان يعني: "التطهير" ، فيقال: طَهَّر فلانٌ ولدَه ، إذا أقام سُنَّة ختانه(٢). و قد يطلق الختان علي الدعوة إلي وليمته ، كما تطلق العقيقة علي ذلك أيضا(٣).

و الختن الواجب(٤) في الذكر هو قطع كل القلفة التي تغطي الحشفة،وإزالتها حتي ينكشف جميع الحشفة. أما الخفض الواجب في الأنثي ، هو قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلي الفرج، و هي تشبه عرف الديك ، بينها و بين مدخل الذكر جلدة رقيقة(٥).

و الجزء الذي يُقطع في الذكر، يسمي القُلْفة أو القَلَفة ، أوالقَلْفة،وهي الطبقة الجلدية التي تغطي حشفة عضو الذكورة عند الرجل، و الحشفة هي مقدمة

---

(١) الزبيدي (محمد مرتضي) ، تاج العروس ، مج٥، بيروت ،ص٢٦(خفض) .

(٢) الزبيدي، مج٣، ص٣٦٣(طهر) .

(٣) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، ص ١٢٠ .

(٤) عند المسلمين ، و سنفصل ذلك عند تناولنا للختان في الإسلام ، في الفصل الخامس .

(٥) النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٣ ،بيروت ١٤٠١ هـ-١٩٨١ م ، ص ١٤٨ ؛ العسقلاني ، ص ٢٠٤ .

قضيب الرجل. و يقال لمن لم يُختن: أقلف، أي بَيّن القلف . و القَلْف : قطع القلفة. و يقال له أيضا : أرغل و أغْرَل : بيّن الغَرل ، و يقال كذلك غلام أغلف ، أي لم يُختن ، و الغُلْفة كالقُلْفة [1].

أما الموضع الذي يُقطع منه جزء من الأنثي ، فيسمي " البَظْر " ، وموضعه ما بين أسْكَتَيْ المرأة (الأسكتان : ناحيتا الفرج) ، و صيغة الجمع: بُظُور[2]. فكانت العرب تقول في معرض الذم ياابن مُقَطّعَةِ البُظُور ، حتي و إن لم تكن أم من يُقال له هذا خاتنة [3]. و يقال : أَمَةٌ بظْراء، أي بيّنة البَظْر [4].

و حجم البظر عند الإناث صغير جدا ، و يُشبّه غالباً بعرف الديك ، ولا تخترقه قناة مجري البول ، كما هو الحال في قضيب الرجل . و البظر عضو حساس جدا مثل حشفة القضيب ، و هو عضو إنتصابي كذلك ، ولا شك أنه مما يزيد الغلمة و الشبق، مما يجعله من العوامل المساعدة التي تدفع إلي الزنا [5]. لذلك كان في استئصال جزء منه بالختان حكمة، للحد قدر الإمكان من الوقوع في الزنا.

و يُعدّ الختان من العادات القديمة عند شعوب كثيرة ، فعرفه المصريون القدماء ، و عرب الجاهلية ، و العبرانيون ، و الكنعانيون

---

(١) ابن سيده ، ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) الزبيدي ، مج ٣ ، ص ٥٢ (بظر) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٢، علي (جواد ،د.) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٤، ط ١ ، بيروت ـ بغداد ، ١٩٧٠م، ص ٦٣٧ ـ ٦٣٨ .

(٤) الزبيدي، مج ٣ ، ص ٥٢ (بظر) .

(٥) البار (محمدعلي،د.)، خَلْقُ الإنسان بين الطب والقرآن ،ط٣جدة١٤٠٢هـ ١٩٨١م، ص ٣٣ .

و الأحباش و غيرهم. و يبدو أن لفظة "ختان" ترجع إلي أصل سامي شمالي قديم. و كان الختان في الأصل نوعا من أنواع العبادة الدموية التي كان يقدمها الإنسان إلي أربابه ، و يعتبر إجراؤه من أهم طقوس العبادات في الديانات القديمة . فقطع جزء من الجسم، و إسالة الدم منه، تضحية ذات شأن في عرف أساس ذلك العهد ، كما كان حلق الشعر كله أو جزء منه نوعا من أنواع التقرب إلي الآلهة [1].

---

(١) علي (جواد) ، ص ٦٥٣ .

الفصـــــــــــل الثانـــي

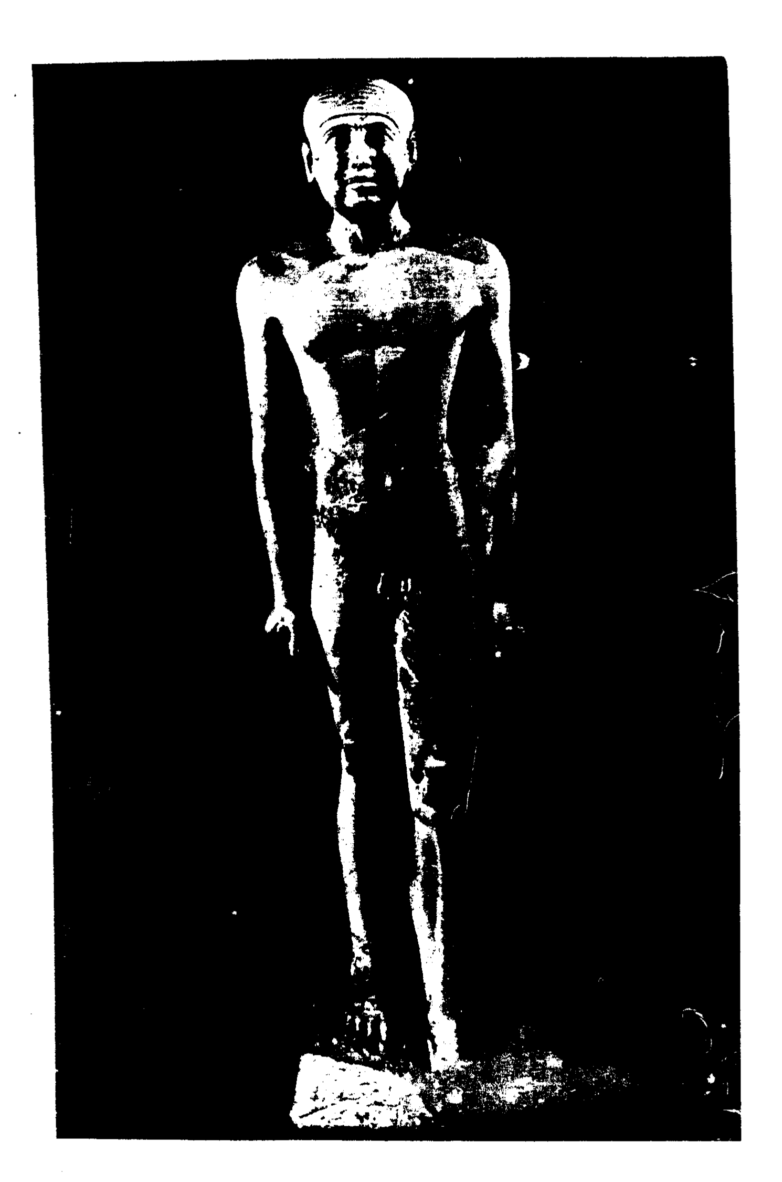
الختـان عنـد الشـعوب القديمـــة

عـرف المصريون الختان منذ أقدم عصـورهم التاريخية ، و لدينا من الشـواهد و الأدلة ما يثبت أن تلك العملية ظلت تمارس حتي أواخـر أيـام الفراعنة (١). فالأجسـام المصرية التى اُستخرجت من أقدم جبانات عصـــر ما قبـل التاريخ ، قبل حـوالي ٤٠٠٠ ق.م. ، تكشف عما يدل علي الختـان، و ذلك إذا ما كان الجسـم محفوظا لدرجة تمكّن من فحصـه (٢).

و أمدتنا الآثار المصرية المتبقية من أيام الدولة القديمة (٣) بما يشـير إلي معرفـة المصريين بالختان آنذاك ، بل و بالطريقة التي إتبعوها لإجـــراء هـذه العملية . فقـد وجـد تمثال لكاهن يـدعي أنيسـاخا Anisakha (٤) من الأسـرة الخامسـة (٥) عاري الجسد مختونا (٦) . و قد حفظ لنا متحـــف الآثار المصرية بالقاهرة ، عـددا من التماثيل الحجرية و الخشبية لرجال عـراة مختونين ، يرجع زمنهم إلـي عصر الدولة القديمة (٧).

---

(١) هِرُوديت ، هروديت يتحدث عن مصر ،ترجمة د. محمد صقر خفاجة،تقديـم و شـرح د. أحمد بدوي، دار القلم،القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص ١٢٢ـ ١٢٣ .
(٢) برستد (جيمس هنري) ، فجر الضمير ، ترجمة د. سليم حسن ، مراجعة عمر الإسـكندري و علي أدهم ، القاهرة ١٩٥٦م ، ص ٣٧٩ (الحاشية) ؛ The Universal Jewish Encylopedia, vol.3, KTAV.P.211.
(٣) الدولـة القديمة ـ في التاريخ المصري القديم ـ تبدأ بالأسرة الثالثـة و تنتهي بنهاية الأسرة السادسة و هي فترة تمتد من حوالي ٢٧٨٠ق.م حتـي ٢٢٨٠ ق.م. تقريبـا.
(٤) تمثال الكاهن أنيساخا محفوظ الآن بمتحف الآثار المصرية بالقاهرة .
(٥) الأسرة الخامسة ، من أسر الدولة القديمة في مصر ، و يمتد تاريخها من حوالي ٢٥٦٠ ق.م. حتي ٢٤٢٠ ق.م. تقريبـا.
(٦) جيار و ريتر (د. يوليوس جيار ، د. لويس ريتر) الطب و التحنيـط في عهد الفراعنة ، تعريب أنطون زكري،القاهرة ، ص ٤٤ .
(٧) انظر الصور أرقام ١، ٢ ، ٣ .

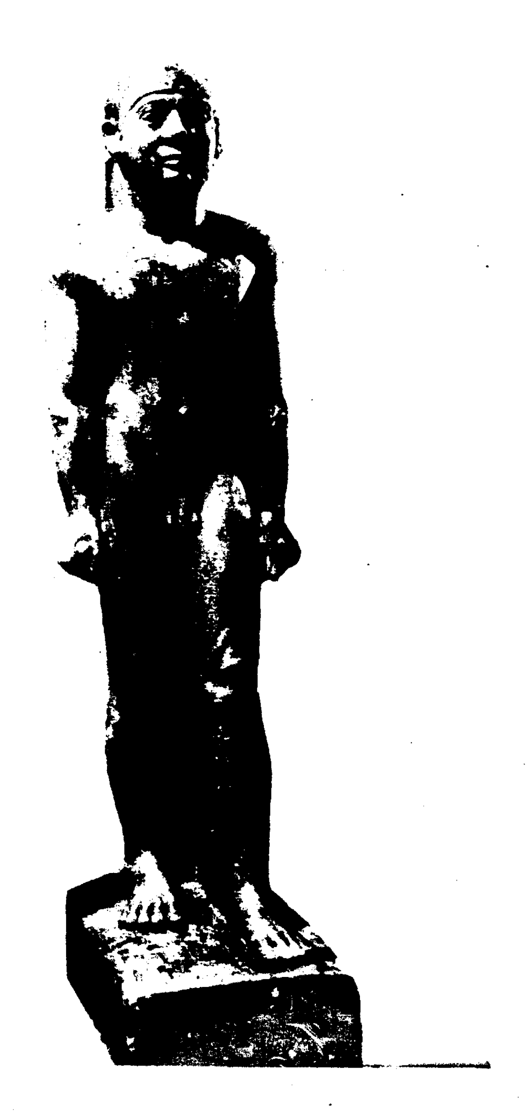


صورة رقم (١)
تمثال من الحجر ، عاري الجسد ، واقفا ـ الدولة القديمة ـ محفوظ بمتحف الآثار المصرية بالقاهرة ، القاعة ٤٢ ، الخزانة تمثال رقم ٢٣ .



صورة رقم (٢)

تمثال من الخشب لرجل واقف ، عار تماما ـ محفوظ بمتحف الآثار المصريــــة بالقاهرة ، القاعة ٤٢ ، الخزانة ٦٤ .



صورة رقم (٣)

تمثال من الحجر لرجل واقف ، عار ـ من محفوظات متحف الآثار المصرية بالقاهرة .

و وجد نقش علي مقبرة "عنخ ماحور" في سقارة [١]، يرجع إلي عصر الأسرة السادسة [٢]، و قد مُثلت عليه عملية الختان ، يقوم بها جراح مصري . و يتكون هذا النقش من جزئين :

نري الجراح في جزئه الأيمن [٣]، و قد نقشت أمامه عبارة "الكاهن الخَتَّان" ، مما يشير إلي أن العملية التي يجريها لا تدخل ضمن إختصاصات الجراح العادي . و يمسك الجراح بيده اليمني آلة مستطيلة في وضع عمودي علي عضو الذكورة ، و في إتجاه طول الجسم ، و يقول - كما يشير النقش - "أن هذا يجعله مقبولا للكحت (أو الدهان)".

أما الجزء الأيسر من النقش [٤]، فيظهر فيه الجراح ممسكا بآلة أو بشئ آخر بيضاوي الشكل يلمس به العضو التناسلي الذي يسنده بيده اليسري. و في هذا الجزء ، تدل ملامح المريض علي شعوره بالألم . و نلاحظ كذلك وجود مساعد الجراح خلف الشخص الذي يختتن ، و قد أمسك بذراعيه علي ارتفاع وجهه في قوة و عنف . و نقرأ في النقش قول الكاهن الجراح :"أمسكه كيلا يقع"، و إجابة مساعده عليه : "سأفعل وفق إشارتك" . و يبدو أن الجزء الأيمن من النقش يوضح مرحلة التحضير أو التخدير لإجراء عملية الختان ، بينما يبرز لنا الجزء الأيسر إجراء العملية نفسها [٥].

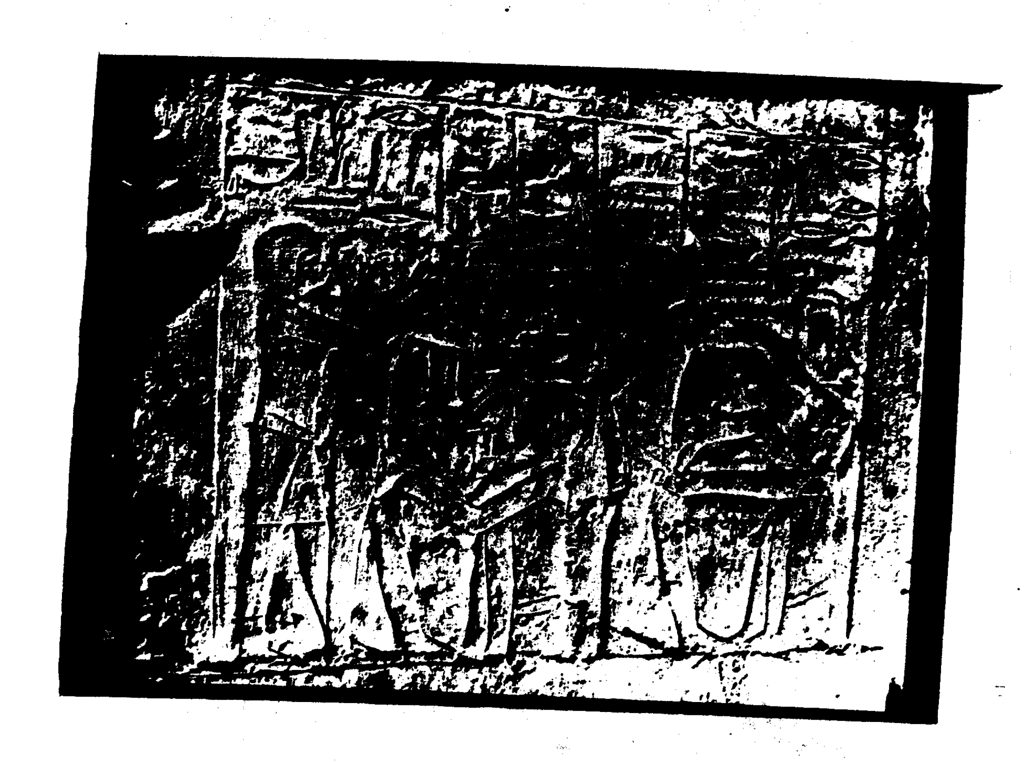
---

(١) انظر الصور أرقام ٤، ٥، ٦ .

(٢) الأسرة السادسة ، يمتد تاريخها من حوالي ٢٤٢٠ ق.م. حتي ٢٢٨٠ ق.م. وانتهت باضمحلال سياسي وانهيار حكومي أنهي عصر الدولة القديمة ، و دخلت مصر بعدها في فترة غامضة عرفت بعصر الإنتقال الأول، الذي فصل بين الدولة القديمة و الدولة الوسطي .

(٣) انظر الصورة رقم (٥) . (٤) انظر الصورة رقم (٦) .

(٥) غليونجي(بول،د.)،الطب عندقدماء المصريين،بحث في تاريخ الحضارة المصرية، المجلد الأول : العصر الفرعوني ، القاهرة ، ص ٥٣٣ - ٥٣٤ .



صورة رقم (٤)

عملية الختان في مصر القديمة

نقش علي جدران مقبرة عنخ ماحور - سقارة - عصر الأسرة السادسة .



صورة رقم (٥)

الجزء الأيمن من النقش الموجود علي جدران مقبرة عنخ ماحور في سقارة.



صورة رقم (٦)

الجزء الأيسر من النقش الموجود علي جدران مقبرة عنخ ماحور في سقارة .

و في معبد الكرنك بالأقصر ، نجد نقشا آخر لعملية الختان ، يظهر فيه الجراح و هو يضع الآلة القاطعة بيده اليمني علي عضو الذكورة ، في مستوي المكمرة [١]، بعد ربط العضو برباط دائري علي قاعدته ، و يفتح فتحة القلفة بأصابع يده اليسري. و يبدو أنه يفعل هذا حتي يتجنب جرح العضو عند القطع. و لكن الآلة القاطعة في هذا النقش ، تختلف في شكلها عن النقش الأول ، فهي هنا أشبه بمشرط أو سكين مكشوط الحد [٢].

و يذهب بعض المؤرخين إلي أن الختان لم يكن يجري في الماضي علي النحو المتبع الآن في مصر ، أي أنه لم يكن إستئصالا كاملا للقلفة ، و إنما كان مجرد قطع مستطيل يحدث علي ظهرها للإكتفاء بفتحها . [٣].

و يروي لنا إكليمندس الإسكندري (توفي نحو ٢١٥ م) أنه عندما قدم "بيثاجور" الكاهن إلي مصر سنة ٥٥٠ ق.م. ، و زار هليوبوليس[٤]، و علم كهنتها أنه غير مختتن ، نفروا منه و طردوه من البلاد لكونه أجنبيا ،

(١) في الذكر الكَمَرة و الكَوْشَلَة : حَوْثَرة الكمرة . و الكمرة هي طرف قضيب الإنسان خاصة ، و قد زعم قوم أنه يقال لكل ذكر من الحيوان . و الجمع كَمَر . و المَكْمُور هو الذي أصاب الخاتن كمرته . انظر : ابن سيده، ص ٣٣ .
(٢) غليونجي ، ص ٥٣٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٣٥ .
(٤) هليوبوليس Heliopolis هو الاسم اليوناني للمدينة المقدسة "عين شمس"، و معناه باليونانية "مدينة الشمس". كان هناك عمود أو نُصُب مقدس يسمي "يون" Yon أُشتق منه الإسم المصري للمدينة "إيونو" Yonew و عرف باسم "أون" On في العهد القديم بعد ذلك .

ولأنــه لم يحترم عاداتهم في هــذه المسـألة ، و من ثم خضـع للعرف المتبـع و أجـري عملية الختـان . و بعد أن تثبتوا من ذلك ، قبلوه في مدارسـهم و مارس طرق التعليم الخاصة ، وانتظم فـي سـر الكهنوت ، و تلقي عن رجاله أسـرارهم البالغة و علومهم و نال عندهم حسن الزلفي (١).

و قد حاول الرومان تحريم الختان في مصر القديمة ، لكنهم لم ينجحـوا فـي ذلك ، لأنه ـ كما رأينا ـ كانت تفرضه بعض الطقوس الدينية (٢).

و الحكمة من الختان عند المصريين ، كانت حرصا علي النظافة والطهارة و رعاية صحـة البـدن (٣). و قد أعطي كل من هيـرودوت و فيلون السكندري (٤) أسـبابا طبية و أخـلاقية لهـذه العادة عند المصـريين ، علـي الرغـم أن هناك من يظن أن هـذه العادة قـد أُخـذت كعـلامة علي رجولة الفتـي أو كـدليل علـي دخـوله فـي مرحلة البلوغ (٥).

---

(١) جيار و ريتر ، ص ٤٤ ـ ٤٥ .

(٢) غليونجي ، ص ٥٣٥ .

(٣) هروديت ، ص ١٢٣ (الحاشية للدكتور أحمد بدوي) ؛ جيار و ريتـر ص ٤٥ ؛ زايد (عبد الحميد، د.) الشرق الخالد، القاهرة ، ١٩٦٦ م ص ٤١ ؛ ديورانت (ول) ، قصة الحضارة ، مج ١ ، ج ٢ (الشرق الأدني) ترجمة محمد بدران، القاهرة ،١٩٦٥ م ص١٢٦ ؛شلبي (أحمد،د.) مقارنة الأديـان (١) اليهودية،القاهرة ، ١٩٦٦م،ص ٢٧٤، جلال(ألفت محمد،د.)،العقيـدة الدينية و النظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم ، القاهـرة ١٩٧٤، ص ٦٤ .

(٤) فيلون الإسكندري،فيلسوف يهودي،مولودفي الإسكندرية حوالي سنة ٢٠ق.م. من عائلة كهنوتية .تذكر المصادرانه لعب دوراهامافي إدخال العنصر اليوناني في كل من العهدين القديم و الجديد. وأهم عمل قام به في هذا المجال شروحه الرمزيه علي سفر التكوين وعلي التشريع الموسوي.ـ العابد(محسن،د.)،مدخل في تاريخ الأديان،سوسة، تونس ،١٩٧٢م،ص ٣٧ـ٣٨.

(٥) האנציקלופדיה העברית , כרך 23 , חברה להוצאת אנציקלופדיות בע"מ , ירושלים , תשל"ג , תל־אביב, עמ' 191 .

و كانت عملية الختان تجري للأطفال غالبا فيما بين السادسة و الثانية عشرة من أعمارهم في المعابد[(١)]، و يبدو أنها كانت شائعة بين أبناء الطبقات العليا فقط[(٢)]. و الأرجح أنها لم تكن فرضا علي الشعب كما صارت فيما بعد عند اليهود ، و كما هي سُنّة عند المسلمين ـ إذ أننا لا نجد أثرا لها في كثير من النقوش ـ و مع أنها لم تكن مقصورة علي الملوك و الكهنة، إلا أنها كانت حتمية علي من يقومون بطقوس معينة[(٣)]. و قد اعتاد المصريون ختان الكهنة و هم في دور الطفولة ، و ذلك دلالة علي أن آباءهم قد خصصوهم للخدمة الدينية ، فينشأ الطفل علي التربية اللائقة بما ينتظره من وضع ديني ، فيفرض الإحترام علي كل من يختلط به[(٤)].

وقد اتخذ بعض المؤرخين من تتابع الولادة فالختان مباشرة ، في بعض نقوش المعابد الخاصة بولادة و طفولة الأمراء ، دليلا علي أن هذه العملية كانت تجري بعد الولادة بأيام، و قال آخرون أن هذا التمثيل كان رمزيا فحسب ، إذ أن النقوش الأخري ، و خاصة تلك التي تتصل بغير الملوك و الآلهة ، قد مثلت العملية و هي تجري علي أشخاص لا شك في أنهم متقدمون في السن إلي حد ما[(٥)].

---

(١) غليونجي ، ص ٥٢٣ .

(٢) האנציק' העברית, עמ' 191. See: Weber (Max), Ancient Judaism. Translated and edited by Hans H. Gerth and Don Marlindale, Glencoe, Illinois, 1960, P.92.

(٣) غليونجي ، ص ٥٢٢ .

(٤) جيمار و ريتر ، ص ٤٤ .

(٥) غليونجي ، ص ٥٢٣ .

و يـروي "سـترابون" أن الختان كان يزاول كذلك بالنسبة للبنـات فـي مصـر . و تجـدر الإشـارة هنـا إلـي أننا لا نجـد ما يـدل علـي أن هـذه العملية كانت تتم بالطريقة المتبعة فـي النـوبة و السـودان ، علي الرغـم أنهـا تعـرف هناك بما يسـمي بـ "الختان الفرعوني"(١):

و يـروي لنـا هيرودوت (٢) أن الذين مارسـوا عادة الختان منـذ أقـدم العصـور هم المصريون و الآشـوريون و الكولشيديون و الأحباش .... أما غيرهم من الشعوب فقـد عرفـوه عن المصريين . و يقول:(٣) (أن الفينيقيين و السـوريين بفلسـطين (٤) أنفسهم يعترفون بأنهم أخـذوا هذه العـادة عـن المصـريين . أما السوريين (٥) الذين يقطنون علي ضفاف نهري "ثرمـودون" و "بارثينيوس" (٦) و "الماكرونيون" (٧) الذين يجاورونهم ، فيقولون أنهم تعلموهـا حـديثا من "الكولخيين" و هـؤلاء وحـدهم هم الذين يعـرفون الختان ، و يظهـر أنهم يمارسونه كما يمارسه المصريون تماما . و أما فيما يتعلق بالأثيوبيـين و المصريين ، فلا أسـتطيع أن أقول أي الشعبين أخـذ هـذه العادة عن الآخـر ، إذ الظاهر أنها عادة قديمة عنـدهم. أما أن الشـعوب قد تعلمتها من إختلاطها بالمصريين ، فبرهاني علي ذلك ساطع ، لأن الذين يختلطون باليونانيين مـن

---

(١) غليونجي ، ص ٥٣٥ .

(٢) هـرودیت يتحدث عن مصر، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١، وراجع أيضا ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .
وانظر : زايد، ص (١١)؛ غليونجي، ص ٥٢٣؛ علي (جواد)، ج٤، ص ٥٤؛ האנציק׳ העבריות עמ׳ 111 ;
See: Weber, P. 92.

(٣) هـرودیت يتحدث عن مصر ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(٤) يبدو أن السوريين بفلسطين هم العبرانيون .

(٥) يقصـد بهم سكـان Cappadocia

(٦) نهرا "ثرمودون" و "بارثينيوس" : الأول هو نهر Termid ، والثاني يسميـه الإغريق Parthin ، و يسميه الترك Dolap .

(٧) الماكرونيون : ليس بين أيدينا من الوثائق ما يمكننا من تحديد هؤلاء القومإن كان الظـن أنهم لم ينزلوا بعيدا عن Cappadocia وتقع علي مسيرة ٢٠ كم من "قيصرية"؟

الفينيقيين لا يقلدون المصريين فيما يختص بأعضاء التناسل ، بل يتركـوا ذريتهم بلا ختان)[١].

و تشير بعض فقرات العهد القديم[٢] إلى أنه ربما أختتن سكان عبر الأردن الشرقي، و أيضا الصيدونيون . و يتضح لنا مما ذكره فيلون الجبيلي أن الكنعانيين قد اعتادوا على الختان أيضا[٣].

و يعطينا الشعر العربي القديم إشارات تفيد أن القبائل العربية قد عرفت الختان أيضا في فترة ما قبل الإسلام (أيام الجاهلية). فالختان يعتبر من العادات الجاهلية القديمة ، و يبدو أنه كان معروفا عند العرب الجنوبيين ، كما كان الحال عند الأحباش[٤] و المصريين و العبرانيين و الفينيقيين و غيرهم من الشعوب القديمة في الشرق الأدنى القديم.

فكان عرب الجاهلية يوصون بالختان ضمن عشر قواعد للنظافة و حسن الهندام ، و هي: المضمضة و الإستنشاق و السواك و الفرق و قص الشارب و الختانة و حلق العانة و نتف الإبطين و تقليم الأظافر و الإستنجاء[٥].

---

(١) إذا صح أن بعض الفينيقيين كانوا يختتنون ، فليس ذلك بالدليل على أنهم قد تعلموا الختان من المصريين ، بل الأرجح أن يكونوا قد أخذوا ذلك عن اليهود بحكم الجوار وكثرة الإختلاط.ـ هرودیت، ص ٢٢١ (الحاشية للدكتور أحمد بدوي).

(٢) انظر أ ر ٩:٢٤ـ ٢٥(في الترجمة العربية ٢٥ـ٢٦)؛ حز ٣١:١٨؛٣٢:١٩ـ٣٢ .

(٣) האנציק׳ העברית , עמ׳ 191 .

(٤) علي(جواد)، ج ٤ ،ص ٦٥٤ .

(٥) عاقل (نبيه ، د.)،تاريخ العرب القديم و عصر الرسول ، ط٣ ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م ، ص ٣٠٤ .

و قد كتب لنا عن إنتشار هذه العادة عند العرب بعض المؤرخين القدامي مثل: "يوسيفوس" المؤرخ اليهودي، و"أوسابيوس"(١). و يقول الجاحظ(٢) أن "هذا الختان في العرب في النساء و الرجال من لدُنْ إبراهيم و هاجر إلى يومنا هذا . ثم لم يُولد صبي مختون قط أو في صورة مختون". و لكن هناك من الإشارات ما يفيد أن كثيرا من الأطفال كانوا يولدون مختونين أو كالمختونين . فجاء في "تاج العروس"(٣) مثلا ،أن العرب كانت تزعم أن الغلام إذا وُلد في القمراء فسحت قلفته فصار كالمختون . و ينسب إلى امرئ القيس ـ و كان قد دخل مع قيصر الحمام فرآه أقلف ـ أنه قال:

إني حلفت يمينا غير كاذبة لأنت أقلف إلا ما جني القمر

و كان عرب ما قبل الإسلام ، يسمون من لم يختتن : أقلف و أغلف و أغرل ، و يعيبونه ، و يعتبرونه ناقصا(٤) ، و يكرهون أن يكون من بينهم

---

(١) علي (جواد) ، ج ٤ ص ٦٥٤ .

(٢) الحيوان ، ج ٧ ، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون ، ط٣، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩ م ، ص ٢٧، وانظر كذلك : علي(جواد)،ج٤، ص ٦٥٤ .

(٣) الزبيدي، مج٦، ص٢٢٦(قلف) ،و كذلك : علي(جواد)ج٤ص ٦٥٤،ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود بأحكام المولود ، ص ١٦١ .

(٤) علي (جواد) ، ج ٤ ، ص ٦٥٤ .

شخص غير مختون . فيروي من أخبار غزوة حنين [1]، أن غلاما قُتل من صفوف أعداء المسلمين ، و بينما كان رجل من الأنصار يستلب القتلى من ثقيف ، إذ كشف هذا الغلام ليستلبه ، فوجده أغرل، فصرخ بأعلى صوته : "يعلم الله أن ثقيفا غرل ما تختتن" . قال المغيرة ابن شعبة : "فأخذت بيده و خشيت أن تذهب عنا في العرب ،فقلت لا تقل ذلك فداك أبي و أمي ، إنما هو غلام نصراني . ثم جعلت أكشف له قتلانا فأقول ألا تراهم مختتنين" [2] .

---

(١) كان يوم حنين في السنة الثامنة من الهجرة . و حنين: واد من جنب ذي المجاز ، و يسمي غزة أوطاس، و هوازن. و كانت هوازن قوة كبيرة بعد قريش، و كانت تتنافس مع قريش ، حتي يكون لها الفضل و الصيت في إستئصال شأفة الإسلام . قام مالك بن عوف النصري ـ سيد هوازن ـ فنادي بالحرب ، واجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها و نصر و جشم كلها ، و سعد ابن بكر ، و تخلف عن هوازن كعب و كلاب . إنتهت الحرب بهزيمة الكفار، وانتصار الإسلام و المسلمين ، وانتهت معها حروب عرب الجاهلية في عهد الرسول عليه الصلاة و السلام . ـ انظر تفاصيل يوم حنين في : إبراهيم(محمد أبو الفضل) و البجاوي(علي محمد) ، أيام العرب في الإسلام ، دار الفكر ، بيروت ، ص ١٠٩ ـ ١٢٨؛ الندوي (أبو الحسن علي الحسني) ، السيرة النبوية،ط ٥،بيروت ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠٥ .

(٢) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ، تاريخ الأمم و الملوك ، ج ٣، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ص ١٣٠ .

و يُعتقد أن بعض عرب الجاهلية قد أمروا بختان النساء للحد من طغيان الشهوة[١]. فيقول الجاحظ[٢] أن "البظراء تجد من اللذة ما لا تجده المختونة ، فإن كانت مستأصلة مستوعبة كان على قدر ذلك ، و أصل ختان النساء لم يُحاوَلْ به الحسن دون التماس نقصان الشهوة ، فيكون العفاف عليهن مقصورا". و مما أورده للتدليل على قوله هذا ، أن "زعم جناب بن جسّاس القاضي ، أنه أحصى في قرية واحدة النساء المختونات و المُعْبَرات[٣]، فوجد أكثر العفائف مستوعبات وأكثر الفواجر مُعْبَرات ، و أن نساء الهند و الروم و فارس إنما صار الزنا و طلب الرجال فيهن أعم ، لأن شهوتهن للرجال أكثر ، و لذلك اتخذ الهند دورا للزواني ، قالوا : و ليس لذلك علة إلا وفارة البَظْر[٤]

---

(١) علي (جواد) ، ج ٤ ، ص ٦٣٧ .

(٢) الحيوان ، ص ٢٧ .

(٣) مفردها مُعْبَرَة : أي التي لم تُخفض .

(٤) أي وفرته وتمامه .

و القلفة"(١).

و يبدو واضحا أن العرب قديما قد أدركوا الحكمة من الختان ، فإلي جانب كونه من قواعد النظافة ، فإنه يحد من الغلمة و الشبق في الرجال و النساء . لذا كانت العرب بحكم التجربة عندما تسب شخصا تقول له :"يا ابن القلفاء"، أي التي لم تُخفض ، فتزيد غلمتها و شبقها مما يؤدي إلي زناها (٢).

و ذكر "يوسيفوس" أن العرب كانوا يختنون أولادهم عند بلوغهم عشر سنوات ، و تفيدنا مصادر أخري بأن عرب الجاهلية لم يحددوا

(١) الجاحظ ، ص ٢٨ - ٢٩

ارتبط الزنا عند الهنود قديما بدياناتهم ، فكان الزنا في الغالب مقصورا علي المعابد . ففي جنوب الهند ، كانت رغبات الرجل الشهواني تشبعها له من أطلق عليهن "خادمات الإله" و ما أولائي إلا العاهرات . و كان يوجد في كل معبد في "تاميل" مجموعة من "النساء المقدسات" يستخدمهن المعبد في الرقص و الغناء أمام الأوثان ، ثم من الجائز أن يستخدمن بعد ذلك في إمتاع الكهنة البراهمة ، و بعضهم وسّع من نطاق خدماته بحيث يشمل كل من يدفع أجرا لمتعته، شريطة أن يدفعن لرجال الدين جزءا من كسبهن . إلي جانب ذلك ، كانت الإباحية الخلقية الواضحة عندهم في بعض إحتفالاتهم الزراعية و الدينية ، ففي وقت الحصاد "يطرح الرجال جانبا كل التقاليد ، و يخلع النساء عن أنفسهن كل حياء ، و يترك للفتيات الحبل علي الغارب يفعلن ما شئن بغير قيود". و تقيم بعض القبائل إحتفالا زراعيا كل عام حيث تباح فيه لغير المتزوجات أن ينغمسن في علاقات جنسية حرة من كل ضابط أو نظام . -

ديورانت ، مج ١، ج ٣ (الهند و جيرانها) ، ص ١٧٤ - ١٧٥ ، ١٩٣ .

(٢) البار ، ص ٣٢ .

عمرا معينا للإختتان (١). و يقول "جواد علي" (٢) أنه من الضعف قبول ما أورده يوسيفوس بشأن هذا الموضوع ، فيبدو أن هذا المؤرخ قد اعتمد على ما ورد في العهد القديم (٣) بشأن إختتان إسماعيل و هو في الثالثة عشرة من عمره ، أو أنه اعتمد على ما سمعه من بعض القبائل الإسماعيلية التي كانت تقطن المناطق الشمالية الغربية من جزيرة العرب ، فظن أن الإختتان عند جميع العرب هو في هذه السن .

و كما حاول الرومان تحريم الختان علي المصريين في مصر القديمة ، فإنهم حاولوا منع العرب أيضا من الإختتان (٤)، و سنجد عند حديثنا عن اليهود ، أن محاولات الرومان لمنع ممارسة هذه العادة لم تتوقف طوال تاريخ إحتكاكهم باليهود أيضا .

أما عن الهند القديمة ، فعلي الرغم أن أهلها يوافقون العرب في كثير من أوجه الحياة ، إلا أنهم لا يمارسون الختان ، سواء للرجال أو النساء (٥).

---

(١) علي (جواد) ، ج ٤ ، ص ٦٥٤ .
(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٤ ، ص ٦٥٤ .
(٣) تك ١٧: ٢٣ - ٢٦ "فأخذ إبراهيمُ إسماعيلَ إبنه و جميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت إبراهيم و ختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله . و كان إبراهيم ابن تسع و تسعين سنة حين خُتن في لحم غرلته . وكان إسماعيل إبنه ابن ثلاث عشرة سنة حين خُتن في لحم غرلته . في ذلك اليوم عينه خُتن إبراهيم وإسماعيل إبنه".
وانظر في ذلك : البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي) ،السنن الكبري ، وفي ذيله الجوهر النقي للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني ،ج٨ ، دار الفكر،بيروت ص ٣٢٦ .
(٤) علي (جواد) ، ج٤ ، ص ٦٥٤ .
(٥) الجاحظ ، ص ٢٩ ؛ انظر : ديورانت ، مج ١ ، ج ٣ ، ص ٤٢٨ .

واختلف العلماء و المفسرون في شأن الصابئين وتاريخهم و طقوسهم و عقيدتهم [(١)]، فمنهم فريق لم يزاول عبادة

---

(١) تندرج تحت إسم الصابئة فرق متعددة و مذاهب متشعبة . و قد قسمهما البعض إلي أربع فرق ، هي: أصحاب الروحانيات ، و أصحاب الهياكل، و أصحاب الأشخاص ، و الحلولية (الذين سماهم ابن بطوطة بالحرانية). و ورد ذكرهم في القرآن الكريم في أكثر من موضع ، فنجد إشارة إلى الصابئين و قد ذكروا بين اليهود و النصاري في سورة البقرة آية ٦٢ : ((إن الذين آمنوا و الذين هادوا و النصاري و الصابئين من آمن بالله و اليوم الآخر و عمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) . و ذكروا وسطا بين اليهود و النصاري في سورة المائدة آية ٦٩ : ((إن الذين آمنوا و الذين هادوا والصابئون و النصاري من آمن بالله و اليوم الآخر و عمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) . وفي سورة الحج آية ١٧ : ((إن الذين آمنوا و الذين هادوا و الصابئين والنصاري والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة)) . وقد ربط العلماء المسلمون بين هؤلاء الصابئة المذكورين في القرآن الكريم و بين صابئة حران و صابئة أرض الرافدين و جعلوهم طائفتين في الأصل ، هما :-
١- صابئة حنفاء : و هم في نظرهم أصحاب إبراهيم ممن كان بحران وممن كان علي دعوته . ٢- صابئة مشركون : و هم من فسدوا من الصابئة فأشركوا واعتقدوا بالكواكب . وتشير المصادر الإسلامية إلي أن لفظة "صبأ" تعني: خرج من شئ إلي شئ ،وخرج من دين إلي غيره. وتذكر هذه المصادر ان قريشا كانت تسمي النبي صلي الله عليه وسلم "صابئا"،والصحابة الصباة أي الخارجين علي دين قومهم . وهي تستعمل لفظة "الصابئة" في كثير من الأحوال مقام "حنفاء". فالصابئون إذن هم أولئك الخارجون علي عبادة قومهم المخالفين لهم في ديانتهم ،ولما كان الحنفاء قد إنشقوا علي قومهم في مخالفتهم لهم بتعبدهم للأصنام فهم صابئة في نظر المشركين. انظر: بن شريف (محمود،د.)، الأديان في القرآن ،ط ٥ ،جدة ،١٤٠٤ - ١٩٨٤م،ص ١٤١ - ١٥٠؛دراز(محمد عبدالله،د.)،مدخل إلي القرآن الكريم ،ترجمة محمدعبدالعظيم علي، مراجعة د. السيد محمد بدوي ،الكويت ،١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م،ص ١٣١-١٣٢؛المنوفي (السيد محمود أبوالفيض)،الدين و الفلسفة و العلم،القاهرة،ص ١٣٩؛علي (جواد) ج ٦ ، ص ٣١٠ .

الختـان (١)، بينما نجـد فـريقـا منهـم مـارس هـذه العادة . فالصابئة الحنفـاء ، هـم الذيـن اتبعـوا ملة إبـراهيـم عليـه السـلام ، ويعرفـون أيضـا بالحنيفيـة ، و يقال لهـم "الملـة العظمـى" ، و هم حنفـاء أطهـار يختتنـون و يجتنبـون الخبائث و يوحـدون اللـه (٢).

---

(١) دراز ، ص ١٣٣ .

(٢) المنوفـي ، ص ١٣٩ .

الفصـــــل الثـالـــــث

الختـان فـي اليهـوديـــة

نوعا الختان - ختان الجسد و ختان القلب :

يشـير العهـد القديم إلي الختان فـي أكثر مـن موضع ، لكنـه يعطينـا نوعين من الختان : أحدهما يختص بالجسد ، و الآخـر يتعلق بالقلب والذهن و الروح ؛ و أولهما تتدخل فيه اليـد لتصنعه ، و يتم بقطـع جـزء من الجلـد فـي عضـو التناسل ، أما ثانيهما فلا دخل لليـد فيـه ، و هـو ما ذهبـت إليه المسيحية فـي إحـدي مراحلها ، علـي نحـو ما سنوضحه فيما بعـد[١] .

فالعهـد القـديم يشير في صراحة و وضوح إلـي ختان الجسـد ، فيقول مثلا : "وقال الله لإبراهيم : و أما أنت فتحفظ عهدي . أنت و نسلك من بعدك في أجيالهم . هذا هـو عهـدي الذي تحفظونه بيني و بينكم و بين نسلك من بعـدك. يُختن منكم كل ذكر . فتختنون في لحم غرلتكم . فيكون علامة بيني و بينكـم. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم . وليد البيت و المبتاع بفضـة من كل ابن غريب ليس من نسلك . يُختن ختانا وليد بيتك و المبتاع بفضتـك فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا . و أما الذكر الأغلف الذي لا يختن فـي لحم غرلتـه فتقطع تلك النفـس من شعبها . إنه قد نكث عهدي"[٢].

و ورد في موضـع آخـر ، "وفي اليوم الثامن يختن لحم غُرلته"[٣].

---

(١) انظر ص ٧٦-٧٧من الفصل الرابع ؛ و كذلك : اليازجي(ندره) ، رد علـي اليهودية و اليهودية المسيحية ، ط ٢ ، دمشق ١٩٨٤م ، ص ٣٠٦ و ما بعدهـا.

(٢) تك ١٧: ٩ - ١٤ .

(٣) لاو ١٢ : ٣ .

أما ختان القلب ، فنجد في العهد القديم أيضا فقرات التي أشارت إليه ، منها :

"فاختنوا غرلة قلوبكم ولا تُصَلِّبوا رقابكم بعد"(١).

"و يختن الرب إلهك قلبك و قلب نسلك لكي تحب الرب إلهك من كل قلبك و من كل نفسك لتحيا"(٢).

و يقول أرميا في سفره : "اختنوا للرب وانزعوا غُرل قلوبكم يا رجال يهوذا و سكان أورشليم..."(٣).

و"ها أيام تأتي يقول الرب و أعاقب كل مختون و أغلف . مصر و يهوذا و أدوم و بني عمون و موآب و كل مقصوصي الشعر مستديرا الساكنين في البرية لأن كل الأمم غلف و كل بيت إسرائيل غلف القلوب"(٤).

أصول الختان في اليهودية - الأسباب و الدوافع :

إن ما يعنينا في هذا البحث ، أن ختان الجسد كان من الفرائض الواجبة على بني إسرائيل(٥). و يبدو أن ممارسة الختان عندهم لم تبدأ فقط منذ زمن إبراهيم عليه السلام ، و ذهبت بعض التفسيرات الربانية إلى الظن أن هذه العادة كانت معروفة قبل هذا التاريخ(٦). على أية حال،يمكننا القول أن الختان أصبح راسخا بثبات وسط العبريين ، والتزموا بإجرائه

---

(١) تث ١٠ : ١٦ .

(٢) تث ٣٠ : ٦ .

(٣) أر ٤:٤ ؛

(٤) أر ٩: ٢٥ - ٢٦ . See: The Universal Jewish Ency.,P.214.

(٥) انظر : جلال ، ص ٦٤ .

(6) Encyclopaedia Judaica, Vol.5, 2nd printing, Jerosalem, 1973, Col.568.

علي أقل تقدير بدءا من عصر إبراهيم عليه السلام . فنص المقرا يعتبر الختان بمثابة الأمر الأول الذي أعطي لإبراهيم و لنسله من بعده "في أجيالهم" (تك ١٧: ٩ـ ١٤) ، و يُلزم كل ذكر بالختان ـ حتي العبد ـ في اليوم الثامن لولادته ، و من يخالف ذلك ، تكون العقوبة أن " تقطع تلك النفس من شعبها " . و من ثم فُسرت عادة الختان علي أنها "عهد أبدي" بين الرب من ناحية ، و إبراهيم (عليه السلام) و نسله من ناحية أخري.[1]

و كان لزاما علي بني إسرائيل أن يجعلوا الختان شعيرة من شعائرهم الدينية ، و علامة من علامات "حلف الدم" بين يهوه و بني إسرائيل ؛ ذلك الحلف الذي قضي بأن يتحمل الرب بموجبه إلتزامات معينة تجاه قبائل بني إسرائيل ، طالما هم يحافظون علي عهده معهم ، فيقومون بعبادته و ينفذون تعاليمه و وصاياه [2] و أمسي الختان علامة لتمييز هذا النسل عن الشعوب الأخري الغريبة (الجوييم ، أي الأغيار) [3]. و من المعتقد أن الختان هو العلة الرئيسية في زعم اليهود بأنهم "شعب الله المختار" ، و يعتقد البعض [4] أن إختيار اليهود للختان بعضو التناسل يشير إلي أن من ينحدر من نسلهم يكون مباركا ، و لهذا فقد حصروا البركة في النسل بواسطة الختان .

---

(١) تك ١٧: ٧ ، ١١، ١٤ .

(٢) الأسيوطي (ثروت أنيس ، د.) ، نظام الأسرة بين الإقتصاد و الدين، الجماعات البدائية ـ بنو إسرائيل ، القاهرة ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ ، جلال ص ٦٤ .

(٣) האנציק' העברית , עמ' 191 .

(٤) اليازجي ، ص ٣٢١ .

و كان المختونون فقط باستطاعتهم الزواج من نسل إبراهيم ، فكان لزاما علي من ينتسب إلي بني إسرائيل أن يمارس عملية الختان.

و يوضح لنا العهد القديم أهمية هذه الشعيرة ، و مدي إستعداد الشعوب المجاورة لبني إسرائيل علي تقبلها ، و ذلك من خلال قصة دينة إبنة يعقوب ، و شكيم بن حمور[١]. فقد أحب شكيم بن حمور الحوي، دينة إبنة يعقوب ، و غرّر بها ، فاضطجع معها ، ثم رغب في الزواج منها، فذهب هو و أبوه حمور لإعلان رغبتهما في مصاهرة قوم يعقوب، "فأجاب بنو يعقوب شكيم و حمور أباه بمكر و تكلموا . لأنه كان قد نجّس دينة أختهم . فقالوا لهما لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر ، أن نعطي أختنا لرجل أغلف ، لأنه عار لنا"[٢]. لكنهم إشترطوا عليهما قائلين : "إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر . نعطيكم بناتنا و نأخذ بناتكم و نسكن معكم و نصير شعبا واحدا . و إن لم تسمعوا لنا أن تختتنوا نأخذ إبنتنا و نمضي"[٣].

و وافق شكيم و أبوه حمور علي هذا الشرط ، و أقنعا أهل مدينتهما به، واختتن كل ذكر في المدينة . و لكن ، حدث في اليوم الثالث ، حيث كانوا متوجعين من آثار الختان ، أن ابني يعقوب ، شمعون و لاوي ، أخوي دينة ، أخذا كل واحد سيفه،و أتيا علي المدينة ، و قتلا كل ذكر ، وقتلا

---

(١) تك ٣٤ .

(٢) تك ٣٤ : ١٣ - ١٤ .

(٣) تك ٣٤: ١٥ - ١٧ .

حمور و شكيم بحد السيف ، و أخذا دينة من بيت شكيم ، ثم أتي بنو يعقوب و نهبوا المدينة التي نجّس أهلُها أختهم[١].

و يبدو أن قصة إلزام شكيم و أهل مدينته بالإختتان - الواردة في تك ٣٤ - ما هي إلا صدي لأحداث تاريخية حقيقية ، وقعت وانتهت بعهد أو ميثاق أبرم بين شعب قديم الإستيطان في كنعان من ناحية ، و بين بني إسرائيل الأحدث إستيطانا في أرض كنعان من ناحية أخري[٢].

و من المرجح أن الختان كان مرتبطا باحتفالات الفصح في زمن ما قبل السبي ، باعتباره شعيرة هامة . فقد أكدت فريضة الفصح[٣] علي ضرورة

---

(١) يشير رحمة الله الكيرانوي ، في كتابه "إظهار الحق" الي هذه القصة قائلا : "... انظروا إلي ظلم أبناء يعقوب ، إنهم قتلوا ذكور أهل البلدة كلهم ، و سبوا نساءهم و صبيانهم ، و نهبوا جميع أموالهم. فخطؤهم و ظلمهم ظاهر ، و خطأ يعقوب عليه السلام أنه لم يمنعهم عن هذه الحركة الشنيعة قبل وقوعها، و ما أخذ القصاص منهم ، و ما رد النساء ، والصبيان و الأموال المسلوبة ، وإن كان غير قادر علي منعهم ، و ردّ هذه الأشياء و أخذ القصاص ، فكان عليه أن يترك رفقة هذه الظلمة ، علي أنه يبعد كل البعد أن يقتل رجلان أهل البلدة كلهم ، ولو فرضنا أنهم كانوا في وجع الختان".
أنظر : الكيرانوي (رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني) ، إظهار الحق، ج ٢ ، طبعه و راجعه عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ،صيدا- بيروت ،ص ٤٦٦-٤٦٧ .

(2) The Universal Jewish Ency., P.212.

(٣) خر ١٢: ٤٣ - ٤٩ (من الثابت في هذه الفقرات أن الختان سيُجري لأشخاص في أعمار مختلفة) ؛ See: Weber, P.92; The Universal Jewish Ency. P.92.

إختتان من يصنع فصحا للرب ، و كذلك من يأكل من هذا الفصح. "فكل ابن غريب لا يأكل منه. و لكن كل عبد رجل مبتاع بفضة تختنه ثم يأكل منه"، "النزيل و الأجير لا يأكلان منه"، "كل جماعة إسرائيل يصنعونه. . و إذا نزل عندك نزيل و صنع فصحا للرب فليختتن منه كل ذكر ثم يتقدم ليصنعه ، فيكون كمولود الأرض . و أما كل أغلف فلا يأكل منه".

و ربما أعتبرت عادة الختان نوعا من الوقاية أو الحماية عند مواجهة الأخطار، و يتضح ذلك من خلال قصة "عريس الدم" التي نسبت إلي صفورة زوجة موسي : "و حدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه و طلب أن يقتله . فأخذت صفورة صوانة و قطعت غرلة إبنها و مسّت رجليه . فقالت إنك عريس دم لي ، فانفك عنه ،حينئذ قالت عريس دم من أجل الختان"(١).

و رغم إرجاع العهد القديم ، عادة الختان عند بني إسرائيل إلي فترة إبراهيم عليه السلام ، و ذلك عندما ربطها بمسألة "العهد الأبدي"، واعتبرها علامة من علامات "حلف الدم" بين الإله"يهوه" من ناحية ،وبين إبراهيم و نسله من ناحية أخري ، ذهبت بعض الآراء إلي أن منشأ الختان عند بني إسرائيل له أسبابه و دوافعه الأخري (٢).

---

(١) خر ٤ : ٢٤ ـ ٢٦ ؛ See:Weber,P. 92

(٢) سنتناول ذلك بالتفصيل في الخاتمة : الختان أصله و نشأته.

فقيل أن هناك دوافع صحية وراء عملية الختان ـ كما هو الحال عند قدماء المصريين حسب بعض الآراء ـ جعلت ممارسة هذه العادة عند بني إسرائيل من الضرورات للوقاية الصحية من الأقذار التي تتعرض لها الأعضاء التناسلية[١]. و جدير بالذكر أن "فيلون" Philo كان أول مؤرخ يهودي قدّم أسبابا صحية للختان ، إلا أنه لم يُدّعي أبدا أن هذه الأسباب هي التي جعلت الختان شعيرة هامة في الديانة اليهودية[٢]. و يمكننا القول أن الختان كان يُمارس بالفعل بين بني إسرائيل منذ وقت مبكر باعتباره شعيرة دينية ، و من ثم ، إكتشف العلماء على مر الأيام أنه يحقق فوائد صحية .

و إذا كانت عادة الختان موجودة بين غير اليهود ، سواء لأسباب صحية أو شعائرية ، فإن الختان اليهودي يعتبر عملية جراحية فعلية و كاملة . و إذا أُجريت هذه العملية في سن الطفولة المبكرة ، إكتسب الشخص وقاية تامة من أية إحتمالات مقبلة للإصابة بسرطان عضو الذكورة ، الذي ينجم في أغلب الأحيان عن إحتباس البول و إفراز غشاء مخاطي تحت القلفة . و يبدو أن نفس هذا العامل هو السبب في الإصابة بسرطان الرحم عند الإناث . و قد أشارت العديد من البحوث الإحصائية إلى ندرة حالات سرطان عضو الذكورة ، و كذا

---

(١) ديورانت ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٧١ . ـ و يعتقد "ول ديورانت" أن ما في الشريعة اليهودية من قواعد خاصة بالنظافة هو الذي أبقي علي اليهود خلال تجوالهم الطويل و تشتتهم و محنتهم .

(2)Ency. Judaica,Col.572-575 .

سرطان عنق الرحم ، بين اليهود ، و ذلك بفضل الختان [١]. و قد يؤدي بقاء القلفة إلي حدوث بعض الإلتهابات الميكروبية ، وتكرار هذه الإلتهابات فيما بين القلفة و الحشفة ، ينجم عنه مضاعفات منهما إحتباس البول و ضيق مجراه ، و هذا نادر الحدوث عند المختتنين، بينما غير نادر عند غيرهم ممن لا يمارسون الختان [٢].

و تذهب بعض الآراء إلي أن الختان عند بني إسرائيل يمثل نوعا من انواع القرابين ، حيث أن الشعوب القديمة - و منها العبريون - عرفت القرابين البشرية في تاريخها المبكر ، فكان الناس يقدمون شخصا كاملا قربانا علي مذبح الآلهة ، ثم اعتقدوا متأخرا أن الآلهة قد يكفيها جزء من جسد الإنسان ، و هذا الجزء هو ما يُقطع في عملية الختان . و بذلك أضحت عملية الختان نفسها عملا من أعمال التضحية ، و ربما تكون علي هذا النحو فدية لتضحية أخري أشد منها قسوة ، فالإله هنا يكتفي بأخذ جزء من كل [٣].

و هناك من ذهب إلي أن بني إسرائيل قد أخذوا الختان عن المصريين [٤]، و جعلوه مرتبطا بالقرابين و الضحايا التي تقدم للغفران وإرضاء الآلهة [٥].

---

(١) האנציק' העברית, עמ' 195 ؛ البار ص ٣٢ ؛ Ency.Judaica, Col.575
جدير بالملاحظة أن ما ورد في دائرة المعارف العبرية بخصوص ندرة سرطان عنق الرحم عند اليهود ، يشير إلي أنهم يجرون عمليات ختان للإناث أيضا، رغم عدم وضوح ذلك في أسفار العهد القديم . و ربما يحدث ذلك لضرورة طبية و صحية ، و ليس كشعيرة دينية .

(٢) البار ، ص ٣٢؛ Ency.Judaica, Col.575.

(٣) ديورانت ، مج ١ ، ج ٢ ص ٣٤٥؛ شلبي (أحمد) ، ص ٢٧٤ .

(٤) برستد ،ص ٣٧٩؛ جلال،ص ٦٤؛فرويد(سيجموند)،موسي و التوحيد،ترجمة د. عبد المنعم الحفني،ط ٢،الدار المصرية للطباعة و النشر،القاهرة ١٩٧٨ ص ٧١-٧٣؛ شبل(فؤاد محمد) مشكلة اليهود العالمية، القاهرة ١٩٧٠،ص ٤١-٤٢؛ Weber, P.92
Cf. The Universal Jewish Ency., PP.211-212.

(٥) شلبي (أحمد) ، ص ٢٧٥ .

و يقول "برستد"(١) "... أن نشـأة مـوسـي في مصـر و تسميته باسـم مصري جعلاه يحض مواطنيه علـي الأخـذ بشعيرة الختان ، و هـي عـمـادة مصـرية قـديمة جـدا ، كانت مراعاتها عامة فـي أيامه بين سـكان وادي النيـل ، و يرجـع عهـدها إلي ما لا يقل عن ثلاثة آلاف سـنة أو تزيد قبـل عصـره . و تنسـب المعتقدات العبرانية دائما أصل تلك الشعيرة إلي موسـي (عليه السلام) . هـذا و إن اتخاذ موسي لعادة مصـرية مقدسة واعتبارهـما عـلامة لبني إسـرائيل ، مـع أنها شـعيرة ألفها بداهة فـي مصـر منـذ نعومة أظفاره ، يعد فـي الوقـت نفسه برهانا قاطعا علـي أنه اتخـذ بعض العادات عن الحياة المصرية القديمة" .

و من ناحية أخـري ، يقـرر "فرويد"(٢) أن موسـي ـ بحكم مصريتـه ـ قـد ألزم بني إسـرائيل بممارسـة عادة الختان ، و كان المصريون يجرونها دون بقية شـعوب العالم بأسـرها و عرفوها قبل دخـول العبرانيين مصـر بآلاف السنين ، و هـدف مـوسـي من وراء ذلك أن يسـاوي بين العبرانيين و المصريين فـي عادة إنفرد بها الأخيرون و كانوا يحسـون بفضل ممارسـتها أنهم أنقـي أجناس البشـر جميعا .

كما يقـرر "فرويد" أن هـذه العادة قـد حالت دون ذوبان اليهـود فـي المجتمعات الأخـري أثناء ترحالهم و تجوالهم مثلما قـد حالت بيـن المصريين و الإختلاط علي نطاق واسـع بالأمم التي إحتلت بلادهم مثل الفـرس

---

(١) فجـر الضمير ، ص ٣٧٩ .

(٢) نقلا عن : شـبل ، ص ٤١ ـ ٤٢ ؛ وانظر : فرويـد ، ص ٧١ ـ ٧٣ .

و اليونان و الرومان . و ما كان أحبار اليهود ليعترفوا بالأصل المصري لعادة الختان ، ففي هذا الإعتراف إضعاف فكرة شعب الله المختار بموجب عهد أرجعوه إلي النبي إبراهيم (عليه السلام) .

و حقيقة ، رغم أن كثيرين يذهبون إلي أن بني إسرائيل إستعاروا شعيرة الختان من مصر ، فإن أصولها تظل من المسائل الغامضة التي يكثر فيها النقاش و الجدل . و من الثابت ـ وفقا للكشوف الآثارية ـ أن المصريين مارسوا الختان منذ الألف الرابع ق.م. ، كما أن جميع جيران بني إسرائيل ـ عدا الفلسطينيين ـ تقريبا كانوا يختتنون . و من الثابت أيضا ، أنه لا يوجد أي دليل علي الإطلاق يشير إلي أن الشعوب السامية المختلفة قد إستعارت عادة الختان ، أو أخذتها من المصريين. و الإحتمال الأرجح ، أن يكون الساميون و المصريون قد ورثوها من مصدر مشترك يرجع زمنه إلي عصور ما قبل التاريخ . و بما أن آلة القطع المستخدمة في أقدم عمليات الختان كانت من "الصوّان"،فالأرجح أن هذه العادة قد نشأت أصلا في العصور الحجرية (١).

و بناء علي ما تقدم ، فإن عادة الختان عند العبريين أيضا ، لها أصول قديمة جدا ، ترجع إلي عصور ما قبل التاريخ ؛ و قد يدعم هذا الرأي ، إستخدامهم آلات قطع من حجر الصوان لإنجاز هذه الشعيرة . و يجب أن يكون واضحا أنه لا يوجد أي سبب يدعونا إلي الإعتقاد ـ كما يُدّعي أحيانا ـ أن بني إسرائيل إستعاروا شعيرة الختان من المصريين . و الأحري أن نقول بأن المصريين و العبريين ـ

---

(١) قارن خر ٤:٢٥ ؛ يش ٥:٢ـ٣ .

و كذلك الشعوب المجاورة ذات الأصول العرقية المشتركة مع الأخيرين ـ قد إكتسبوا عادة الختان من مصدر قديم مشترك .

و من ناحية أخري ، يشير سفر اللاويين إلي أن أمر الختان قد فُرض علي بني إسرائيل في سيناء عندما كَلّم الربُ موسي [١]. إلا أن الخارجين من مصر ، الذين كانوا مختونين ، لم يختنوا أبناءهم في الصحراء ، فقام يشوع بن نون بختانهم عشية دخولهم إلي أرض كنعان [٢]. "و هذا هو سبب ختن يشوع إياهم ، أن جميع الشعب الخارجين من مصر الذكور ، جميع رجال الحرب ، ماتوا في البرية علي الطريق بخروجهم من مصر . لأن جميع الشعب الذين خرجوا كانوا مختونين ، و أما جميع الشعب الذين وُلدوا في القفر علي الطريق بخروجهم من مصر فلم يختنوا" (يش ٥: ٤ ـ ٥) .

و بعد هذه الحادثة ، لم يرد الختان بإسهاب في المقرا ، لكننا نجد بعض الإشارات إليه بين الحين و الآخر [٣]، لتعطينا الدليل علي إستمرار هذه العادة وانتشارها .

و تجدر الإشارة هنا ، إلي أن ما ورد في العهد القديم بشأن الختان ، لم يشر إشارة صريحة أو غير صريحة إلي ختان الإناث ، إنما يشير دائما إلي ختان الذكور [٤]، بل إن هناك بعض الإشارات التي

---

(١) "و كلم الرب موسي قائلا: كلم بني إسرائيل قائلا، إذا حبلت إمرأة و ولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام . كما في أيام طمث علتها تكون نجسة . وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته(لاو١٢: ١ـ٣). Ency. Judaica, Col. 568.

(٢) האנציק׳ העברית, עמ׳ 191 ؛ وانظر يش ٥: ٢ ـ ٩ .

(٣) أر ٤: ٤ و ما بعدها ، ٩: ٢٥ ـ ٢٦

(٤) تك ١٧: ٩ ـ ١٤ ، خر ١٢ : ٤٨ ، لاو ١٢: ١ ـ ٣ .

يُستشف منها إهمال ختان الإناث ، مع التأكيد على ختان الذكور، بما يفيد أن التشريع اليهودي لا يفرض الختان على الإناث[١].

موعد إجراء الختان :

إختلف موعد إجراء الختان ، من شعب إلى آخر ؛ فبعض الشعوب تختن أولادها عند وصولهم سن البلوغ ، في حين يتم الختان وسط شعوب أخرى في عمر خمس سنوات ، و ربما يكون مبكرا عن ذلك . و على وجه العموم ، تعتبر السنة الثالثة عشرة من العمر، الحد الأقصى لإتمام شعيرة الختان . و في أرجاء العالم الإسلامي ، يُجرى الختان عادة بين الخامسة و السابعة ، و نادرا ما يؤجل حتى سن البلوغ لكنه لا يتعدى أبدا هذه المرحلة من العمر[٢]. و تقوم بعض الشعوب البدائية بإجراء الختان لأبنائها مقترنا بمراسم زواجهم[٣].

و مما لا شك فيه أن إجراء الختان في فترة الطفولة المبكرة ، لم يبدأ الأخذ به إلا في الأزمنة المتأخرة فقط[٤].

و قد حددت فقرات العهد القديم ـ بدقة و وضوح ـ الموعد الذي يجب فيه ختان الطفل ، و هو اليوم الثامن لولادته ، فنجد سفر التكوين ـ على سبيل المثال ـ يقول : "ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر

---

(١) أنظر على سبيل المثال ، لاو ١٢ : ١ و ما بعدها .
(٢) سنتحدث عن ذلك بالتفصيل في الفصل الخامس ، عندما نتناول "موعد إجراء عملية الختان" في الإسلام .
(3) The Universal Jewish Ency., PP.211-212.

وقارن تك ١٧:٢٥ ؛ ٣٤:١٤ ـ ٢٤ ؛ خر ١٢: ٤٤ ، ٤٨ .
(4) WEber., P.92.

فـي أجيالكم"[١] و"ختن إبراهيم إسحق إبنه و هو ابن ثمانية أيـام كما امـــره اللـه"[٢]، و يقـول سـفر اللاويين: "و في اليوم الثامن يختن لحم غرلته"[٣].

و رغم هـذا التحـديد الواضح لموعـد إجـراء الختان ، و تشديد الإله علـي ضـرورة الإلتزام بـه و الحفاظ عليه ، نجـد يشـوع بن نون يُضطـر إلـي ختن جميع الرجـال الذين عبروا معه نهـر الأردن غربا ، لأنهم لـم يختتنـوا فـي الموعـد المحـدد لذلك حسـب المقـرا ، فهـؤلاء هم الذيـن وُلدوا فـي صحـراء سـيناء أثناء فترة التيـه بعـد خـروج بني إسرائيل من مصـــــر[٤].

فاليهـودية لا تؤجـل موعـد ختـان الطفـل عن اليوم الثامن لولادتـه، حتي لوكان هـذا اليوم موافقـا ليوم من أيام السـبت ، أو يوم الغفران[٥] ،

---

(١) تك ١٧ : ١٢ .
(٢) تك ٢١ : ٤ .
(٣) لاو ١٢ : ٣ .
(٤) يش ٥: ٢ ـ ٩ ؛

See also: Freehof(Solomon B.),Reform Jewish Practice And Its Rabbinic Background, Hebrew Union College Press, Cincinnati, 1944,P.113.

(5)Rosenbaum(Samuel),To Live As A Jew,Ktav Publishing House Inc., U.S.A.,1969, P.139;The Universal Ency.,P 214.

و يوم الغفران ،أو يوم الكفارة ، هوعيديهودي يوافق اليوم العاشر مــن شهر تشري،و يبدأ قبيل غروب الشمس من اليوم التاسع من تشري،و يستمر إلي ما بعد غروب شمس اليوم التالي ، فمدته حوالي ٢٧ ساعة ، يجب فيها الصيام ليلا و نهارا و عدم الاشتغال بأي شئ ما خلا العبادة ، واسمه بالعبرية יוֹם כִּפּוּר "يوم كِبُّور" .ـ انظر : ظاظا(حسن،د.)،الفكر الديني الإسرائيلي أطواره و مذاهبه ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

أو غيرهما من الأيام المقدسة . فرغم أهمية الحفاظ علي قداسة السبت في اليهودية [١]، بالكف عن القيام بأي عمل دنيوي ، فإن إجراء عملية الختان في موعدها الذي قررته الشريعة ، يؤجل السبت أو بعبارة أخري ، لا يُفسِد قداسته [٢]؛ و لكن الختان بعد اليوم الثامن لولادة الطفل ، لا يؤجل السبت [٣].

ولا يعني ذلك أن أي ختان له أهمية تفوق أهمية المحافظة علي السبت ، بل إن الختان الذي يؤجل السبت ، هو المشروط بشرط : "أن يكون في موعده". فأهمية الختان في التشريع اليهودي، مرتبطة بإجرائه في اليوم الثامن لولادة الطفل . و إباحة إجراء الختان في يوم السبت ، أمر لا غرابة فيه ، ولا نعتبره مخالفا لقواعد المحافظة علي السبت التي من أهمها الكف عن العمل. فالختان شعيرة من الشعائر المفروضة علي اليهودي ، مثلما فرض عليه تقديس السبت ، خاصة إذا كان ملتزما بأدائها في موعدها الذي أمره الرب به ، فضلا علي أن الطقوس المصاحبة لعملية الختان ، هي طقوس دينية تتواءم مع الجو الديني الذي يغلف يوم السبت و قداسته .

---

(١) انظر وصية السبت في الوصايا العشر ، خر ٢٠ : ١١ ؛ تث ٥: ١٤، ١٥ ؛ و كذلك تك ٢:٢ ـ ٣؛ خر ٣١ : ١٣ . وانظر أيضا : عبد المجيد (محمد بحر ، د.) ، اليهودية ، القاهرة ، ١٩٧٨م ص ٢٥ ـ ٢٦ ، ١٣٢؛ ظ ا ظ ا، ص ١٩٩ ـ ٢٠١ .

(٢) שבת קל"א , ע"ב - קל"ב , ע"א .

(٣) האנציק' העברית , עמ' 192 .

و تُجري عملية الختان دائما في نهار اليوم الثامن ، لكن لا يوجد إلزام بساعة محددة من ساعات النهار لإجرائها (١)، و مع ذلك يُفضَّل أن تتم في ساعة مبكرة من صباح هذا اليوم ، علي سبيل محاكاة إبراهيم في تلهفه علي تنفيذ الأمر الإلهي (٢).

و إذا وُلد الطفل في وقت غروب الشمس بالضبط ، يُستشار عادة حاخام ، حتي يحدد التاريخ الدقيق لولادة الطفل و ختانه (٣). و هناك قوانين خاصة تتعلق بموعد ختان الطفل الذي يُولد في وقت الشفق قبيل فجر السبت أو العيد . و دار جدل تلمودي حول إمكانية السماح بإنهاء الإستعدادات و التحضيرات الخاصة بعملية الختان في يوم سبت ـ رغم تحريمها في هذا اليوم ـ إذا كان قد تأخر إنجازها من قبل، لأي سبب من الأسباب (٤).

و قد نظر فقهاء اليهود في مدي الإلتزام بإجراء الختان في موعده ، حيث إضطرتهم بعض الظروف إلي عدم التمسك به. فإذا وُلد الطفل مبتسرا أو ضعيف الصحة ، يجب تأجيل شعيرة الختان حتي سبعة أيام بعد شفائه من مرض عام ، أو فور شفائه مباشرة من توعك موضعي (٥)، شريطة ألا تجري العملية المؤجلة في أي يوم من أيام السبت ، و لا في أي عيد من الأعياد الدينية (٦).

---

(١) שבת קל"א , ע"ב , ע"א ؛ The Univrsal Jewish Ency.,P.215

(2) Ency. Judaica, Col. 570.

(3) The Universal Jewish Ency.,P.215.

(4) Ency. Judaica, Col. 570.

(٥) المرجع السابق ، عامود ٥٧٠ .

(6) Rosenbaum,P.139.

و إذا كان الطفل مريضا أو ضعيفا ، لا يقوي علـي تحمل طقوس الختان، فإنه لا يختن إلـي حين التأكـد من نجاح العملية و سلامة الطفل إذا مـا أجـري له الختان [١]. بل إن الفقهـاء منعـوا إجـراءه كلية في الحالات التي تهـدد حياة الطفل بالخطـر [٢]. و جـدير بالذكـر ، أن هناك جهات طبيـة مختصة ، مسـئولة عن تحديد حالة الطفـل الصحية .

و قـد اجتهـد فقهـاء اليهـود فـي هذا الشأن ، فبحثوا و درسوا بعناية و دقة ، الأمراض التي قد تصيب الطفل ، أو المضاعفات التي قـد تصحـب عملية الختان مثل شحوب الوجه أو الحمرة [٣]، و كذلك النزيـف [٤] الذي كان من الأمـور غير المألوفـة إلـي حـد بعيد ، لدرجـة أنه لم يكـن واردا فـي كتـب الطب اليونانية القديمة ، مما دعا فقهـاء اليهـود - بنـاء علـي معرفتهم الدقيقة بتأثير العوامل الوراثية في الإصابة بالنزيف - إلـي أن يقـرروا بأن الطفـل الذي مات اخـوته (أو أبناء خالته) بسبب آثـار الختـان لا يختن فـي موعـده ، و يؤجـل ذلك إلـي أن يكون من المؤكـد إجـراء العملية في سـلام و أمان [٥]. و إذا كان أطفال كل من الأختيـن (أي أبناء الخالة) يموتون بسبب الختان ، فإن أطفال الأخت الثالثـة و الأخوات الأخـريات ، لا يتحتم عليهم الإختتان في الوقت المعتاد . و جدير بالذكر ، أنه في جميـع أحـوال مثل هـذا الختان المؤجل ، يجب أن تجـري

(1) The Universal Jewish Ency., P.216.

(٢) האנציק' העברית, עמ' 192; The Universal Jewish Ency., P.214

(٣) الحمرة: داء يصيب الشخص فيحمر موضعها، وهومن جنس الطواعين. ـالجاحظ ص٢٦.

(٤) האנציק' העברית, עמ' 726 (חומר: דם) .
האנציק' העברית, עמ' 192;

(5) The Univrsal Jewish Ency., PP.215-216;

العمليــة فــي أي يوم من أيام الأسبوع ، عــدا يوم السبت [١].

و إذا أختتن الطفل ـ لسبب ما ـ قبل اليوم الثامن لولادته ، أو إذا وُلد مختونا(أي بدون قلفة)، فإن إسالة دم "عهــد الختــان" يجــب أن تتم فــي اليوم الثامن ، شــريطة أن يكــون ذلك فــي غير أيام الســبت ، و أن يكون الطفــل سليما من الناحية الصحية . و الخاتن أيضا هــو الذي يقــوم بهــمــده العمليــة ، حيث يثقــب الجلد الخارجي للحشفة باستعمال مشرط أو إبــرة جــراحية ، حتي يســمح لقطرة من الدم بالخــروج [٢]، ثم يتلو كل من الخاتن و أبو الطفــل بعض التســبيحات للمباركة[٣].

و إذا توفــي قبل اليوم الثامن لولادته ، فمن المعتاد غالبا أن يُختــن قبــل دفنه مباشــرة ، و يطلق عليه فــي هــذا اليوم اســم "إبراهيم"[٤].

و قــد حــددت اليهودية الشخص الذي تقــع عليه مســئولية إجــــراء شــعيرة الختان فــي موعــدها . فالموعــد المفــروض لإجــرائها ـ كمــا عرفنا من قبل ـ هــو اليوم الثامن لولادة الطفــل ، حيث يكون الصغير لا حول له ولا قـــوة ولا يملك من أمر نفســه شيئا . و لذلك ، كانت مســئولية إجراء العملية ملقاة علــي الأســرة ، و علي وجــه الخصوص ، تكــون ملقاة علــي الأب [٥]. فإن لم يختن الأب طفله الذكر حديث الولادة ، يكون مخترقــا

(1)The Universal Jewish Ency.,P.216.
(2)Ency.Judaica,Col.570.
(٣)האנציק׳ העברית, עמ׳ 192 ; שבת קל״ג, ע״ב .
(4)The Universal Jewish Ency.,P.216.
(٥) האנציק׳ העברית, עמ׳ 192.

للشريعة اليهودية ، و غير مُنفِّذ لها . و عندما أنشئت محاكم يهودية، تولت مهمة إلزام الأب بإجراء العملية، و هو إلزام لا يدوم طويلا (١). ولكن إن لم يوجد أب للطفل الأغلف ، أو إذا كان أب الطفل لا يرغب في ختن إبنه ، فإن المحكمة هي التي تتولي ختنه . و علي أية حال ، فإن المسئولية قد تقع أخيرا علي الشخص نفسه إذا ما كبر دون ختان ، فإنه ـ عندئذ ـ يكون ملزما بختن نفسه (٢).

الخاتن و عملية إجراء الختان :

إهتم بنو اسرائيل منذ القدم بوضع قواعد للوقاية من الأمراض ، و يبدو أنهم لم يعرفوا من الجراحة سوي عملية الختان (٣).

و تقع مسئولية إجراء عملية الختان علي كل أب يهودي ، فالأب مُلزم بضرورة ختن إبنه ، و إذا أهمل في القيام بهذا الواجب ، تؤول المسئولية إلي المحكمة (٤).

و كانت عملية الختان تُجري للطفل في عصر المقرا ، علي يدي الأب (٥)، كما كان يجريها آخرون .. أي أن القائم بإجراء العملية لم يكن بالضرورة "خاتنا" ـ صناعته الأساسية الختانة فحسب . فالأمر الإلهي بالختان ، إلزام علي كل رجل ، لذا كان في إستطاعة أي رجل يهودي إجراء الختان ، بل إنه سُمح للنساء بإجراء العملية في ظروف

(1) The Universal Jewish Ency.,P.215.

(٢) האנציק׳ העברית, עמ׳ 192.

(٣) ديورانت ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

(4)Ency.Judaica,Col.571-572.

(٥) האנציק׳ העברית, עמ׳ 192 .

خاصة . فإن لم يتواجد رجل في مكان ما مؤهل و مستعد لإجراء العملية ، فإن أية إمرأة يهودية يمكنها أن تجريها إذا تأكدت من قدرتها علي ذلك . و لم تكن الختانة ، في الأصل ، عملا مهنيا يتكسب منه صاحبه، بل كانت عملا من أعمال الخير يقع علي عاتق كل يهودي متمتع بسمعة حسنة ، و يكون مكتسبا لمهارات معينة تؤهله لإجراء العملية[١].

و في فترات متأخرة ، أصبح يقوم بإجراء العملية شخص مؤهل تأهيلا خاصا ، و مدرب و متمرس ، يعرف باسم "موهيل" (מוֹהֵל ، mohel) أي "الخاتن" أو "المُطَهِّر" ، الذي يُرَخَّص له بمزاولة هذه الصنعة بعد منحه شهادة بذلك من الحاخامية ، أو المؤسسة الدينية التي يتبعها ، و كذلك من السلطات الطبية المختصة[٢]. و لذا كان من الطبيعي أن يجري الختان طبيب جراح يهودي .

ويوجب التشريع اليهودي أن يكون الخاتن يهوديا[٣]، أو يكون علي الأقل ، من الأنصار المخلصين الموالين للمعتقدات اليهودية[٤]. ففي ظروف خاصة ، يُسمح لغير اليهودي أن يُجري عملية الختان . و يسجل التلمود في هذا الصدد رأي ربي مائير (R.Meir) الذي يري أن المدينة التي لا يوجد فيها يهودي مُجَرِّب و خبير ، يستطيع أي شخص فيها حتي

(1) Freehof, P.114.
(2) Rosenbaum, P.139; Ency.Judaica, Col.570.
(3) Freehof, P.114.
(4) Ency.Judaica, Col. 570.

لو كان وثنيا ، أن يجري عملية الختان . و عندما تعرض النقاش في هذا الموضوع إلي إختيار أحد إثنين : وثني و سامري ؛ أيهما يُفضّل - من وجهة نظر الفقهاء - لإجراء العملية ؟ ، وجدنا ربي مائير يفضل الوثني ، بينما فضل آخرون السامري و يري موسي ايسيرليس (Moses Isserles أنه في وقت الخطر ، يُسمح لأي شخص من الغرباء (الجوييم) أن يقوم بإجراء الختان [1].

و جدير بالذكر ، أن عملية الختان الآن يجريها - في الغالب - طبيب جراح يهودي ، سواء كان ذلك في المعبد أو المستشفيات أو المنازل الخاصة .

و تُجري العملية في طقوس خاصة [2]، يوضع فيها الطفل علي ركبتي "السَّنْدَك" [3] ، الذي يقوم بإبعاد رجلي الطفل عن بعضهما ، و يقّيد حركتهما تقييدا تاما . عندئذ يبدأ الخاتن بفحص الطفل ، فإذا تبيّن أن أعضاءه التناسلية طبيعية و عادية ، لا يلزم أي تأجيل ، و يباشر في إجراء العملية بخطواتها البسيطة .

و تتم عملية الختان في ثلاث مراحل رئيسية [4] :

---

(1) Freehof, P. 114.

(٢) سنتناول طقوس الختان و تطورها بتفصيل ، في الصفحات التالية .

(٣) السَّنْدَك סַנְדָּק ، كلمة من أصل يوناني ، تحريف للكلمة اليونانية Synteknos و يقابل في معناها كلمة סַלִּיץ في العبرية بمعني "خطيب أو كاتب أو بليغ". و السندك عند اليهود هو الشخص الذي يضع الطفل علي ركبتيه عند الختان . و يقابل عند المسيحين ، العرّاب (أب في العماد) بالنسبة للذكور ، و العرّابة סַנְדָּקִית (أم في العماد)بالنسبة للاناث .

(٤) انظر : האנציק׳ העברית , עמ׳ 192 ; The Universal Jewish Ency., P.214; Ency. Judaica, Col. 571 - 572.

١ - قطع طرف القلفة : بعد أن يكون الخاتن قد وضع يديه في محلول مُطهّر ونظفهما بإتقان ، يقوم بقطع طبقة الجلد الخارجية ، و شق غشاء الحشفة ، و هو طبقة الغشاء المطاطي الداخلي للقلفة ، و تتم هذه العملية بأن يأخذ الخاتن قبضة معينة من القلفة بيده اليسري،وعندما يحدد الجزء الذي يجب عليه أن يقطعه ، يثبّت عنده الأداة الواقية حتي يحمي الحشفة من أي أذي . و عندئذ ، يمسك المشرط - الذي يكون أحيانا مزدوج الحدّين - بيده اليمني ، و يقطع الجزء المعين بحركة واحدة سريعة علي طول الأداة الواقية .

و كانت أدوات القطع المستخدمة في زمن يشوع ، مصنوعة من الصوّان (يش ٥:٢) ، و في زمن الرومان ، أُستخدمت سكاكين و مشارط معدنية . و منذ القرن السابع تقريبا ، استخدم الخاتن الأداة الواقية لحماية الحشفة عند القطع ، واتخذت هذه الأداة شكل قيثارة قديمة ، مصنوعة من معدن رقيق كالصفيح . و كانت حقيبة الخاتن تأخذ أيضا شكل قيثارة ، يحفظ بداخلها المشرط أو السكين ، و الأداة الواقية ، و قارورة المسحوق الذي يستخدم لوقف النزيف و تلطيف موضع القطع(١).

٢ - كشف الحشفة : يقوم الخاتن بطي جلدة القلفة إلي أسفل ، ثم سحبها و دفعها وراء الحشفة ، في اتجاه جسد الطفل ، حتي تتخلص تماما من حشفة عضو الذكورة ، و تعرف هذه المرحلة ، بعملية الشق لكشف رأس القضيب عند الختان .

---

(1) Ency. Judaica, Col. 572.

٣ - عملية الإمتصاص : يقصد بها إمتصاص دم الجرح لوقف النزيف الناتج عن عملية القطع ، و الهدف منها هو الحد من طول فترة تدفق الدم . و عملية إمتصاص الدم هذه ليست - في الأصل - من صلب أمر الختان ، و لم تجر إلا للوقاية من الخطر [١].

و كان الإمتصاص في العصور المبكرة يتم بواسطة فم الخاتن حتى يزيل الدم من الأجزاء الداخلية البعيدة في الجرح . ثم أستخدمت وسائل أخري في العصور المتأخرة ، و تطورت في العصر الحديث ، مع تطور الطب و علوم الصحة ، حيث كان فم الخاتن - الذي يقوم بإجراء العملية - مصدرا لنقل بعض الأمراض المعدية إلي الطفل الذي تجري له العملية . ففي حوالي منتصف القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ، أصيب عدد من الأطفال بأمراض معدية مثل الزهري و السل و الدفتريا ، و عزي هذا إلي إنتقال العدوي من الخاتنين الذين كانوا يقومون بعملية الإمتصاص بواسطة الفم [٢]. لذلك حظرت الجمعية الطبية بباريس في عام ١٨٤٣م عملية إمتصاص الدم و للسبب ذاته ، أستخدمت بعض الأدوات الخاصة لهذا الغرض - في القرن التاسع عشر - مثل الأداة الماصة أو الأنبوبة الزجاجية [٣].

---

(١) שבת קל"ג , ע"ב .

(2) Ency. Judaica, Col. 572.

(٣) האנציק' העברית , עמ' 192 .

طقوس الختان و تطورها :

المكـــان : كان لعملية الختان طقوسهـــا الخاصة ، التي دخلـــت عليهـا بعض التغييرات مـــع تعاقـــب الأجيال ، خاصـــة فـــي العصـــور الوســـــطي . فحـــتي فترة "الجاؤنيم" ، كانت تتم عملية الختان فـــي منزل الأم التي أنجبـــت الطفـــل المراد ختانـــه ـ وهـــو التقليـــد الذي لا يزال متبعا عنـــد بعـــض الطوائـــف الشـــرقية المختلفة ـ و لكن هـــذا التقليد توقـــف بعـــد ذلـــك حيث إنتقـــل مكان إجـــراء هذه العملية إلـــي المعبـــد[١] .

ففـــي العصـــور الوســـطي ، كانت الطقوس تجـــري غالبا في "السيناجوج"[٢] و لا زالت تجـــري فيه حتي اليوم وسط بعـــض الجماعات اليهودية . و في العادة ، تُجـــري طقوس الختان الآن فـــي المستشفي أو المنزل ؛ و توجـــد في عيادات التوليـــد بإســـرائيل حجـــرات واســـعة مخصصة لهذا الغـــرض[٣] .

تجهيـــز الطفل و إجراء العمليـــة: إذا أقيمت مراسم الختان فـــــي المعبـــد ، يتم إحضـــار الطفل من أمه في اليوم الثامن لولادته ـ إن لم يكـــن هناك أســـباب تؤخـــره عن هـــذا الموعـــد ـ و يُدخِلونه إلي المكان المخصص لإجـــراء طقوس الختان . في هـــذه الأثناء ، يرحب الحاضرون بقـــدوم الطفـــل فينشـــدون ترنيمة בָּרוּךְ הבא بركـــة لحضـــوره . واعتـــاد السفـــارديم أن يغنوا أنشـــودة يباركون فيها أولئك الذين يحفظون العهـــد[٤] . و يتشرف كل الحاضرين ـ أو بعضهم ـ بحمل الطفل بين أيديهم ، و علي الشخص

---

(١) האנציק׳ העברית ، עמ׳ 672 .

(٢) الـ"سيناجوج" Synagogue ، أي الكنيس : المعبد اليهودي .

(3) Ency. Judaica, Col. 570.

(٤) المرجع السابق ، عامود ٥٧١ .

الأخير الذي حمل الطفل، أن يسلمه ليد الخاتن .

عندئذ ، يتوجه الخاتن بالطفل إلى "كرسي الياهو" فيضعه عليه للحظات قليلة جدا ، ثم يوضع الطفل فوق وسادة على ركبتي السندك[١] ، وهي اللحظة الأخيرة التي يقوم فيها السندك بإمساك الطفل و شل حركته تماما حتى يتمكن الخاتن من إجراء العملية الجراحية في أمان .

و بعد قطع القلفة ، توضع على رمال أو رماد ، كعلامة على العهد بين الرب و إسرائيل ، و يُقصد بذلك ، التمني بأن يصبح الطرف الأخير - إسرائيل - وافر العدد كحبات الرمال على شاطئ البحر[٢].

كرسي الختان و كرسي إلياهو : لأن النبي إيليا يعتبر الحامي الخاص للأطفال ، فإن رجاء حضوره في عملية ختان الطفل ، كان من الأمور الهامة - و يتمثل هذا الحضور في تخصيص كرسي له عُرف في طقوس الختان بـ "كرسي إلياهو" (כִּסֵּא שֶׁל אֵלִיָּהוּ)[٣].

و"كرسي إلياهو" هو جزء من كرسي أكبر ، ذي مقعدين ، يُعرف بـ "كرسي الختان" . و عادة ، يكون كرسي الختان قصيرا ، غير مرتفع ، و مزينا بزخارف كثيرة وجميلة و فخمة ، و مزودا بمسند للظهر . و مثل هذه الكراسي ... ي في الغالب من منتجات القرن الثامن عشر، ولاتزال موجودة في العديد من المعابد اليهودية (السيناجوج) العتيقة في أوربا ،

---

(١) المرجع السابق عامود ٥٧١ .

(2) The Universal Jewish Ency., P.214.

(٣) האנציק' העברית , עמ' 192 וגם 541 (חומר אליהו) .

وهي ليست جزءا من الأثاث المعتاد والمألوف في هذه المعابد، لكنها تُقدَّم في إطار من التقييد، فتستخدمها شخصيات متميزة، وفي مناسبات خاصة.

وبالنسبة للمقعدين اللذين يحتوي عليهما كرسي الختان، فإن المقعد الأيسر يكون مخصصا للسندك، أما الطفل، فيخصص له المقعد الأيمن، بالقرب من مسند الظهر، حيث أعتقد أن الياهو يتفضل بالجلوس عليه أثناء أية عملية ختان.

وفي تسمية "كرسي الياهو" بهذا الإسم، تلميح إلى ما ورد في فقرات سفر الملوك الأول (١٧: ١٧ - ٢٤) التي تضمنت مقدرة إيليا على إرجاع الحياة - بأمر الرب - إلى طفل الأرملة الذي مات في حضرته. ومن ثم، كانت الرغبة في حضور الياهو طقس الختان، باعتباره الحامي للأطفال. لقد أعتبر إلياهو أنموذج المتحمس للعهد المقدس، وباعتباره بشير المسيح، كان يُدعى "ملاك العهد"(١).

وجدير بالذكر، أن كرسي الختان الموجود في "سيناجوج" روما، له مقعد واحد فقط. وفي عمليات الختان التي تُجري اليوم في المستشفيات أو المنازل الخاصة، يتميز كرسي الختان في الغالب ببساطته، فهو كرسي عادي بسيط، ذو مسند للظهر مرتفع إلى حد ما(٢).

---

(1) The Universal Jewish Ency., P.214.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٥.

طقوس ما بعد العملية و تسمية الطفل : تُتلى أثناء عملية الختان بركات و ترنيمات مناسبة ، يرددها والد الطفل ، "صاحب العهد" ، و معه كل الحاضرين ، و في مقدمتهم الخاتن ، الذي يكون في هذه الحالة غالبا — طبيبا يهوديا [١].

و بعد عملية الختان مباشرة ، يُسلَّم الطفل إلي أبيه ، أو إلي أحد الضيوف المخلصين القريبين له [٢]. و يقوم الأب بتلاوة "بركة الختان" ، التي تقول: "مبارك أنت يا رب ، إلهنا ملك العالم ، الذي قدستنا بأوامرك ، فأمرتنا أن نلتزم بعهد إبراهيم أبينا" [٣]. و ينطق الخاتن ايضا بهذه البركة ، ثم يقوم بعد ذلك بتلاوة بعض الترنيمات و الأدعية المشفوعة بالرجاء ، علي كأس من النبيذ ، يمسكه الخاتن في يده ، و يشرب منه ، ثم يضع قطرات من النبيذ علي شفتي الطفل [٤]. و يتلو الخاتن بركة يسبّح فيها الرب الذي أقام عهدا مع شعبه إسرائيل [٥]، ثم يدعو للطفل الجديد بأن يمنحه الرب الصحة و الحياة ، و يتمني له أن يكبر و ينضج و يبلغ رشده ، مع حب التوراة ، و أن يجيء اليوم الذي يكون فيه تحت ظُلّة العُرْس (חֻפָּה) ، كعريس ، و أن يدرك بهجة القيام بكثير من الأعمال الطيبة [٦] . و عندئذ ، يطلق علي الطفل اسمه العبري [٧] .

---

(1) The Universal Jewish Ency., P.214.

(2) Ency. Judaica, Col. 572.

(٣) (בָּרוּךְ אַתָּה יְיָ , אֱלֹהֵינוּ מֶלֶךְ הָעוֹלָם , אֲשֶׁר קִדְּשָׁנוּ בְּמִצְוֹתָיו וְצִוָּנוּ לְהַכְנִיסוֹ בִּבְרִיתוֹ שֶׁל אַבְרָהָם אָבִינוּ) . Rosenbaum, P.139

(4) The Universal Jewish Ency., P.214.

(5) Ency. Judaica, P.140.

(6) Rosenbaum, P.140.

(٧) האנציק׳ העברית, עמ׳ 192 .

و يبـدو أن تسـمية الطفل فـي وقت الختان ، هـي عادة قـديمـة جـداً ، أشار إليها سـفر التكوين (٢١: ٣ - ٤) ، كما ذُكـرت أيضـاً[1] فـي لوقـا (١ : ٥٩ .

و بعـد تسمية الطفل يُرسـل كأس النبيـد - الذي إُستخدم في الطقوس - إلـي الأم ، حتي تشـرب منـه ، ثم تُتبـع هـذه المراسـم بوجبة دينيـة يجتمـع فيها الحاضـرون حول المائـدة ، يتغنون بأناشـيد دينية خاصـة . و يبـدو أن إتباع هـذا التقليـد - وجبـة الختان - قـد بـدأ منذ فتـرة التلمود[2]. و بعـد الإنتهـاء من الوجبات ، ينطق جميـع الحاضريـن بترنيمـات تتضـمن البركات لكل من الوالدين و السـندك و الخاتن[3].

و مما لا شـك فيه ، أن تغييرات كثيرة قـد حدثت ، مع تعاقـب الأجيال ، فـي الطريقة المتبعة لإجـراء عملية الختان ، و في الطقـوس المصاحبـة لها . و قـد سُجلت هـذه الإختلافات و التغييرات في العديـد مـن الكتب التي نُسخت ، ثم طُبعت بعـد ذلك ، و كلها تتناول عـادات الختـان و طقوسـه المتبعـة . و مما يُكسـب هذه الكتـب أهمية ، أنهـا كُتبـت علـي أيدي خاتنين متخصصين . و أول كتـاب مـن هـذا النوع - علي ما يبـدو - يرجع إلـي القرن الثالث عشـر ، ظهـر فـي ألمانيا ، و يتناول

(1) Ency. Judaica, Col. 572;

جدير بالذكر أن تسمية الطفلة الأنثى تتم غالبا في السيناجوج أثناء الطقـوس الدينية ليوم السبت التالي مباشرة للـولادة أما الطفل الذكر فإن تسميته تتـم بوجه عام في طقوس ختانه كما ذكرنا ، و إن كان البعض يسمّي الأطفال علـي السـواء - الذكور منهم و الإناث - في السيناجوج في يوم السبت التالي لولادتهم.

See: Freehof, P.113.

(2) The Universal Jewish Ency., P.214.

(3) Ency. Judaica, Col.572.

"قواعد الختان" أو مبادئه ، تأليف ربي يعقوب و ربي جرشوم ، و هما خاتنان (الأب و ابنه)(١).

و قد إعتاد الخاتنون قديما أن يسجلوا في دفاترهم الخاصة أسماء المختونين و تاريخ ختانهم ، و أضحت هذه القوائم الآن من المصادر التاريخية الهامة التي نفيد منها كثيرا عند التأريخ للختان عند اليهود(٢).

أهمية الختان عند فقهاء اليهود :

لا يعتبر الختان في اليهودية قربانا مقدسا ، أو سرا مقدسا من أسرارها ، كما أنه لا يعتبر شرطا لإثبات "يهودية" الشخص اليهودي ، فأي طفل مولود من أم يهودية ، يكون هو أيضا يهوديا ، حتي و لو لم يكن مختونا(٣)، و لكن "لا تهوُّد دون ختان"(٤).

و مع ذلك ، إذا أردنا الوقوف علي أهمية الختان في الديانة اليهودية ، و كيف كانت نظرة اليهود إليه ، فإننا نرجع إلي آراء فقهاء اليهود و حكمائهم في هذا الشأن . و قد بالغ هؤلاء الفقهاء و الحكماء في تقديرهم لأهمية الختان ، فيقولون مثلا: "لولا الختان ، ماخلق الرب عالمه" ، و "أن فريضة الختان هي التي تصون العالم ، و هي تساوي

---

(١) "כללי המילה" לר' יעקב ולר' גרשום ، نُشر بواسطة "جلاسبرج" גלאסברג تحت عنوان "זכרון ברית לראשונים" , קראקא, תרנ"ב .
عיין : האנציק׳ העברית, עמ' 192 .

(٢) האנציק׳ העברית, עמ' 192 .

(3) Ency. Judaica, Col. 570.

(4) Rosenbaum, P. 140; האנציק׳ העברית, עמ' 192, 178 (גד) ؛
و راجع آراء بعض زعماء حركة الإصلاح اليهودية في هذه المسألة، في : حسن(محمد خليفة ، د.) ،الحركة الصهيونية ـ طبيعتها و علاقاتها بالتراث الديني اليهودي ، ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١م ، ص ٣٨ .

في قيمتها كل الفرائـــض الموجـودة فـــي التوراة" ، و هـــي التي سيتحقـــق خـــلاص إســـرائيل بفضلها . و مـــن يتخلى عن الختان - حتي لو كانت التوراة فـــي يـــده ، و لو كانت أعماله حســـنة - لن يكـــون له نصيـــب في العالـــم الآخـــر . و من يؤدي أمـــر الختان و حســـب ، يدخل جنـــة عدن ، فالختان يعـــد وسيلة فريـــدة للوصول إلـــي الكمال ، و شـــرط لقـــدرة الإنســـان علي تعـــلم التوراة ؛ حتي إبراهيم و مـــوســـي (عليهما السلام) لن يصلا إلـــي درجـــة الكمال إن لم يكونا قيـــد نفـــذاها . فالختان يعتبر منحـــة قُدِّمـــت لإبراهيم ، و هـــي التي أنقـــلت شـــعب إســـرائيل في وقت ضائقته. لقد ضحي بنـــو إســـرائيل كثيرا بأنفسهم من أجل تنفيـــذها و الإبقـــاء عليها ، ولذلـــك ظلـــت باقيـــة فـــي أيديهم[١].

الحوادث التاريخية و أثرهـــا :

في الزمن الهيلينستي ، أهمـــل الختان إهمالا كبيرا ، بل إن كثيـــرا من اليهـــود المختونين ، الذين أرادوا الإشتراك عـــراة في الألعاب اليونانيـــة بالجمانزيوم ، تحملوا عمليات مؤلمـــة لمحو العلامات الدالة علـــي الإختتـــان . و مـــع ذلك ، فإنهم أثاروا سخرية أولئك الذين أرادوا محاكاتهم[٢]. و مـــع تغلغل الثقافة الهيلينستية في أرض كنعان ، خاصة في النصـــف الأول مـــن القرن الثاني ق.م. ، بدأ بعـــض اليهـــود المختونين - أيضا - فـــي جـــذب قلفتهـــم ، أي أنهم كانوا يمدونها بسحبها أو جـــذبها ، رغبة منهـــم في محـــو العلامة الخاصة بهم و المميزة لهم ، و ذلك لتيسير عملية الإندماج بالآخريـــن من غير اليهود[٣] ، فقـــد كانت عملية الختان تتم بصـــورة بســـيطة بحيـــث

(١) עיין : האנציק' העברית , עמ' 193 .

(2) Ency. Judaica, Col.568.

(٣) האנציק' העברית , עמ' 193 .

لا يتمكن الناظر بسهولة أن يتبين أي أثر لإجرائها ، فكان يُكتفي فقط بشق القلفة ، و تخليصها لإظهار حشفة عضو الذكورة . و لم تتخذ عملية الختان صورتها التي هي عليها الآن إلا في وقت متأخر، هو عصر المكابيين[1] (١٦٧ ق.م.) ، حين أمر الكهنة الوطنيون أن تزال القلفة عن آخرها ، حتي يكون ذلك حائلا دون الإمتزاج بالشعوب الغريبة ، و حتي يصعب علي اليهودي إخفاء ختانه (أو هويته) عن الناس[2].

و في الوقت الذي كان فيه الكهنة و رجال الدين يشددون علي ضرورة إجراء عملية الختان بالطريقة المفروضة ، و يحاربون محاولات بعض المختونين إخفاء ختانهم ، قام أنتيوخوس الرابع

---

(١) من أبرز ثورات اليهود إبان حكم البطالسة لفلسطين ، هي تلك الثورة التي قاموا بها سنة ١٦٧ق.م. بقيادة الكاهن ماتياس ، و قد هُزم فيها ماتياس و هرب و مات في العام التالي ، فتولي إبنه مكّابياس قيادة الثائرين ، وقد دفع حياته سنة ١٦١ ق.م. ثمنا لعصيانه ، و إلي هذا الكاهن تنسب أسرة المكابيين التي حاولت أن تحقق - دون جدوي - أي لون من ألوان الإستقلال لليهود .

انظر شلبي (أحمد) ، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٢) ديورانت ، مج ١ ، ج ٢ ص ٣٧١ (الحاشية) ؛ شلبي (أحمد) ،ص ٢٧٥ .

إبيفانـــس"[١] فـي عام ١٦٧ ق.م. بإصدار أول حظـر علـني ضـــد عمليـة الختـان[٢]. و رغم شـدة المراقبة و الإجـراءات التي أتخـذت فـي هـذا الشـأن، فإن الختان لم يتوقـف تماما ، بل ربما كان الحظـر الصـادر من السلطات الرسمية قـد حـدّ فقـط من الطقوس المصاحبة للختـان، و لكن العملية ذاتهـا كانت تتم فـي الخفـاء ، حتي لا يتعـرض فاعلهـا للأذي و الإرهـاب . و مع ذلك ، فإن كثيرا من الأمهات اللاتي ختّن أبنائهن تحملن مخاطـر كثيرة كادت تودي بحياتهـن . و مما سُجـل عـن هـذه الفترة، أن إمرأتين ختنتا إبنيهمـا ، فما كان من السلطات إلا أن إقتادتهما فـي أرجـاء المـدينة ، بطولهـا و عرضهـا ، و معهما طفلاهمـا ، مربوطان إلـي صـدريهما ، و كانتا منكستي الرأس مـن شـدة خجلهما[٣]. و فــرض

---

(١) أنتيوخـوس الرابع (إيبيفانس) (Antiochus IV (Epiphanes (حوالي ٢١٥ ـ ١٦٣ ق.م.) ، هو الإبن الثالث لأنتيوخـوس الثالث ، و قـد أصبح ملكا في ١٧٥ ق.م. و قد رأي بعض المؤرخين أن الروايات المتوارثة عنه غير سارة ، وذلك ـ و بالدرجة الأولي ـ بسبب سياسته تجاه اليهـود . فقد تحكّم في يهودا بحزم و صلابة (ولو أن ذلك تم دون لباقة) ، لأنـه كان يـدرك مدي أهميتها إستراتيجيا كولاية حدودية ؛ و رغب في صبغة اليهود بالهيلينية ، و سعي إلي أن يجعلهم إغريقا ، ربما لأنه كان يعتقـد في الهيلينية كوسيلة حكم . لكن النتيجة التي وضحت بعد موته فقط ، أنـه أثار نزعة القومية اليهودية و بعثها .
See: The Oxford Classical Dictionary, Ed.by, N.G.L. Hammond and H.H. Scullard, 2nd Ed., Oxford, 1979, P.72.

(٢) האנציק' העברית, עמ' 193- 194 ; Ency. Judaica, Col.568
وانظر سفر المكابيين الأول ١:٥ .

(٣) انظر سفر المكابيين الثاني ٦: ١٠ "فإن إمرأتين سُعي بهما أنهما ختنتا أولادهما فعلقوا أطفالهما علي أثديهما و طافوا بهما في المدينة علانية ثـم ألقوهما عن السور".
See: Ency. Judaica, Col.569.

"أنتيوخوس أبيفانس" عقوبات رادعة أخري علي كل من يجريها . ولكن تصميم الكهنة اليهود علي إجرائها رغم هذا الحظر ، كان يعتبر أحد المظاهر الأولي لثورة الحشمونيين [(١)].

و مع إنتصار الحشمونيين ، واتساع حدودهم ، فرض الملك جون هير كانوس John Hyrcanos الختان علي الأدوميين Idumeans المهزومين ، و أجبرهم علي تحمّله [(٢)]. و قد صاحب هذا التوسع الإقليمي لمملكة الحشمونيين ، موجة تهويد جماهيرية ، فانتشر الختان و شاع بين الشعوب التي وقعت في دائرة سلطانهم ، كما نشطت في أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، حركة تهويد كبيرة و واضحة ، زادت بمقتضاها عمليات الختان [(٣)]، مما دعا مؤرخي هذه الفترة و شعرائها إلي أن إعتبروا الختان علامة بارزة تخص اليهود و تميزهم .

و قد اختلف الزعماء الدينيون آنذاك حول وجوب ختان المتهودين . فنجد ربي اليعازر بن هير كانوس يطالب بضرورة الختان إلي جانب طقس المعمودية حتي يُسمح للمتهود بالقبول في الدين الجديد ، في حين يقرر ربي يشوع أن المتهود يكفيه فقط طقس المعمودية للدخول في الدين الجديد [(٤)].

---

(١) האנציק' העברית, עמ' 194 .

(2) Ency. Judaica, Col.569.

(٣) האנציק' העברית, עמ' 174 - 176 (חומר גר) .

(4) Ency. Judaica, Col.569.

و يبـــدو أن عادة الختـــان إنتشـــرت وســـط الرومان فـــي فتـــــرة الشـــتات (الدياسـبورا) تحـــت تأثير الجماعـــة اليهـــودية في رومـــــا[١]. و قـــد حظـــر "هادريان"[٢] ـ مرة أخـــري ـ الختان ، و فرض هـــذا الحظـــر علـــي اليهـــود و غير اليهـــود ، علـــي حـــد ســـواء ، و ساوي بينـــه و بيـــن الخصي (حوالي عام ١٣٠ ق.م.)[٣]. و هذا الحظر الذي صـــدر فـــي ظاهـــره نتيجة لأســـباب إنسانية ، ربما هـــدف أيضا إلي تحديد ظاهـــرة التهـــوُّد و تحجيمهـــا . و علـــي أية حال ، فقـــد كان ذلك ، أحـــد العوامل التـــي ساعدت علـــي قيام ثورة بركوخبا[٤] . و لكن بعـــد فشـــل هـــذه الثـــورة ، تزايدت الرقابة علـــي ضرورة تنفيـــذ حظـــر الختان ، واشتدت العقوبـــات المفروضـــه علي مخترقيه ، و لكن اليهود لم يستسلموا لأوامـــر الحظر هـــــذه ، و بـــذلوا عـــدة محاولات لإلغائهـــا .

و في ظل هذه الظروف ، يُروي أن موظفا رومانيا ، سأل "ربي أو شايا" لماذا لم يخلق الربُّ الإنســـان كما أراده أن يكـــون ؟ (أي بدون قلفـــة) ، فأجابـــه "ربي أوشايا" : ذلك لأن علـــي الإنسان أن يتمم نفســـه بواســـــطة تنفـــيذ أمر إلهـــي[٥] (هـــو أمـــر الختان) .

---

(١) المرجع السابق عامود ٥٧٠

(٢) "هادريان" HADRIAN ، أو "أدريانوس" אדריינוס ، هو "پوبليوس إيليوس هادريانوس" Publius Aelius HADRIANUS ، إمبراطـــــور روماني ١١٧ ـ ١٣٨م ، وُلد في سنة ٧٦ . ربما كانت سياسته في يهوذا فقط مثار إحتجاج واضح. ففي عهده بُني معبد صغير لچوبيتر في نفس موقع الهيكل في أورشليم ، وكان هذا البناء كفيلا بالتعجيل بالثورة في ١٣٢ـ١٣٥ ، سواء منع الختان أو لم يمنعه . و ساد أورشليم جو من الإضطرابات وشهدت المدينـــة إجراءات قمعية واسعة الإنتشار .
See: The Oxford Classical Dict., PP.484-486.

(٣) האנציק׳ העברית, עמ׳ *194* .

(٤) المرجع السابق ، عامود ١٩٤ ،

(5) Ency. Judaica, Col.570.

و عاد أنطونينوس پيوس [١] فسمح بالختان لليهود فقط ، و لكنه منعهم من ختن أي شخص لا ينتمي إلي جنسهم [٢].

و في القرن التاسع عشر ، أثار متطرفو الحركة الإصلاحية [٣] مسألة الختان من جديد ، حيث رأوا فيها عادة بربرية وحشية و عتيقة ، تقف

---

(١) أنطونينوس بيوس Antoninus Pius ، إمبراطور روماني (١٣٨ - ١٦١ م) وُلد في سنة ٨٦ في منطقة قريبة من روما . تنقل في عدة وظائف ، فاشتغل كموظف إداري و مالي كبير ، و عمل كقاض . و عندما تولي عمله كحاكم إداري لآسيا بين سنتي ١٣٣ - ١٣٦ ، إكتسب شهرة عظيمة بسبب كماله و نزاهته و إستقامته ، و من ثم إلتحق فيما بعد بـ"مستشارية" هادريان . و بسبب دقته و ولائه و إخلاصه و دماثة خلقه ، إكتسب أنطونينوس إحترام هادريان ، ومن ثم أصبح خليفة له في سنة ١٣٨ و في الشهور الأخيرة من حياة هادريان ، كان أنطونينوس هو الحاكم الفعلي حيث أمسك آنذاك بسلطة الحكم التشريعية و الإدارية . و عندما مات هادريان ، كان وصول أنطونينوس إلي الحكم - في ١٠ يوليو ١٣٨م - سهلا و هادئا ، و قد أنعم عليه مجلس الأعيان فمنحه لقب"پيوس" (أي:تقي و ورع) .
See: The Oxford Classical Dict., P. 75 - 76.

(٢) האנציקלופדיה העברית, עמ׳ 194 .

(٣) ظهرت هذه الحركة إستجابة للحقوق التي منحتها الثورة الفرنسية ، مما أعطي الفرصة لليهود للإندماج في المجتمع الأوربي . و قد رأي زعماء هذه الحركة أن علي اليهود أن يُدخلوا بعض الإصلاحات علي الديانة اليهودية الأرثوذكسية ، و تغيير بعض العادات و التقاليد اليهودية لمواجهة التحديات التي يفرضها العصر الذي يعيشه اليهود ، و مسايرة التغييرات التي تطرأ علي المجتمع عامة . و من التعديلات التي سنتها هذه الحركة تقصير الصلاة اليهودية، واستخدام اللغة الدارجة لغة للحديث ، بل و سمحت باستخدامها في الخطب و المواعظ الدينية ، و هجر اليهود التابعون لهذه الحركة كثيرا من العادات اليهودية، وانشقوا علي كثير من السنن التي سنها التلمود . وانتقل نشاط الإصلاحيين إلي أمريكا ، و تبلورت حركتهم هناك ، و عقد أول مؤتمر لوضع أسس الدعوة الإصلاحية عام ١٨٦٩م في فيلادلفيا ، و صدرت عنه عدة قرارات هدفها الإصلاح و التغيير .
انظر : حسن ، ص ٦٦ - ٦٩ .

حائلا أساسيا أمام أية فكرة أو محاولة لدمج اليهود في البيئة المحيطة بهم . ففي سنة ١٨٤٣م بحث زعماء الحركة الإصلاحية في فرانكفورت إلغاء الختان في وسط أنصارهم و مؤيديهم ، و دار جدل كبير حول مدي وجوبه في اليهودية ، و دام هذا الجدل قرابة عشرين سنة ، علي أقل تقدير ، ثم انتشر - آخر الأمر - وانتقل إلي أمريكا .

و قد أخذ الجدل في هذه المسألة شكلا محدودا خلال السنوات الأولي للحركة ، و لكن ما يمكن الوقوف عليه في ذلك الحين ، أن الأغلبية كانت تؤيد الإستمرار في إتباع عادة الختان ؛ و من بين الأقلية التي نادت بعكس ذلك ، نذكر علي وجه الخصوص "ي.فريدلندر" (י. פרידלנדר) ،وكذلك "صموئيل هولد هايم" (ש. הולדהיים)[1] الذي دعا إلي عدم التمسك بالختان ، واعتبر المولد هو الذي يحدد يهودية المولود ، و ليس الختان[2] .

(١) האנציקלופדיה העברית , עמ' 194 .
صموئيل هولد هايم (١٨٠٦ - ١٨٦٠م) هو أحد زعماء حركة الإصلاح اليهودية، قام بإدخال بعض التعديلات في خدمة السيناجوج و العبادة، كما أدخل تغييرات علي وظيفة الرابي فجعلها وظيفة لا تهتم فقط بالأمور الطقسية أو التشريعية و لكن تهتم أيضا بأمور الجماعة كما هو الحال بالنسبة لرجل الدين المسيحي ،أصرعلي أن اليهودية يجب أن تستسلم لمتغيرات الزمن،وأن تتعامل مع الواقع الذي تعيش فيه . فالإحتفال بالسبت مثلا أصبح بالضرورة لا يجب عقده في يوم السبت كما كان الحال في فلسطين ، و لكن في يوم الأحد حسب الظروف السائدة في المجتمع الأوربي ، بل و أدخل تعديلات علي أحكام تقديس هذا اليوم ، كما أراد تطبيق القانون المدني علي الزواج ، و السماح بالزواج المختلط . و لم يبق من أيام الصوم في اليهودية إلا علي صيام يوم الغفران ، و أدخل تعديلات و تغييرات في جوانب أخري حتي يساير العصر الحديث . - (انظر : حسن ، ص ٣٧ - ٣٨) .

(٢) حسن ، ص ٣٨ .

و قد أسس زعماء الحركة الإصلاحية معارضتهم للختان علي أسباب جوهرية - في نظرهم - أهمها [١] :-

١ - كان الأمر الإلهي بالختان موجها إلي إبراهيم (عليه السلام)، ولم يكن موجها إلي موسي (عليه السلام)، ولا يعتبر الختان من السمات المميزة لبني إسرائيل ، إذ تمارسه أيضا سلالة إسماعيل (عليه السلام) .

٢ - أن الأمر بالختان يُذكر مرة فقط في التشريع الموسوي ، و لم يتكرر ذكره في التثنية .

٣ - إن موسي (عليه السلام) نفسه لم يختتن إبنه (خر ٤: ٢٤ - ٢٦) .

٤ - إن جيل الصحراء الذي عاش فترة التيه لم يختتن (يش ٥:٢ - ٩) .

و علي أية حال فإن اليهودية الإصلاحية لا تزال ملتزمة بإجراء الختان حتي الآن ، ولو أن هناك دوائر معينة في وسطها حاولت إلغاء عادة ختن المتهودين [٢] .

و في بداية هذا القرن ، وجه "شالوم إيش" (שלום אש) خطابا علنيا إلي طبقة المثقفين و الحكماء و اليهود ، و قد أثار هذا الخطاب ضجة واسعة النطاق ، لأنه أدان فيه عملية الختان واعتبرها من آثار عبادة "الأعضاء التناسلية" أو عبادة "عضو الذكورة" [٣] .

---

(١) See: Ency. Judaica, Col. 571.

(٢) האנציק' העברית, עמ' 186 (חומר גר) .

(٣) المرجع السابق ، عامود ١٩٤ .

الفصـــــل الرابـــــع
الختــــان في المســـــيحيـة

الختان و المسيحية في مرحلتيها :

عندما نبحث مسألة الختان في المسيحية ، فإننا نتناولها في مرحلتين متميزتين ، اختلفت في كل منهما وجهة نظر المسيحيين في مدي أهمية إتباع هذه العادة ، التي أُعتبرت إرثا من ديانة سابقة ، هي اليهودية ، التي نشأ في وسطها الجيل الأول من الأجيال المسيحية . و تمثلت أولي المرحلتين في فترة حياة المسيح عيسي (عليه السلام) ، واستمرت حتي ظهور القديس بولس [(١)] و زيوع آرائه في أمر الختان . ويمكن أن نطلق علي هذه الفترة

---

(١) القديس بولس Saint Paul : ولد من عائلة يهودية من الفريسيين علي الأرجح ، أقامت بمدينة طرطوس في سيليفيا . و كان اسمه شاؤل Saul . كان من ألد أعداء المسيحية في عهد المسيح و من بعده ، ثم أصبح من أشد المتحمسين لها بعد دخوله فيها . و تجدر الإشارة إلي أن بولس لم يلتق بعيسي (عليه السلام) مدة حياته ، و لكن بينما هو سائر في طريقه إلي دمشق ظهر له السيد المسيح في عمود من نور ، و كان ذلك بعد صلبه و رفعه ، فهداه الصراط المستقيم ، و كلفه تبليغ رسالته إلي الأمم و هدايتهم إلي المسيحية ، و من ثم أُطلق عليه اسم "حواري المسيح إلي الأمم الكافرة" . لم يصدقه الحواريون في بداية الأمر ، و ظنوا أنه يتظاهر بالإيمان للمكر بهم ، و لكن برنابا شهد أمامهم بصحة إيمانه . و طاف بولس في مختلف البلاد لنشر المسيحية ، فأنشأ الكنائس ، و ألقي الخطب ، و ألف الرسائل في المسيحية ، حتي قُتل في إضطهادات نيرون سنة ٦٦ أو ٦٧م . انظر : أعمال الرسل ، الإصحاحات ٨ ، ٩ ، ١٣ ، ١٤ ؛
و كذلك : وافي (علي عبد الواحد ،د.) ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ٦٨ ، ٧١ - ٧٢ ؛ جنيبير (شارل) ، المسيحية نشأتها و تطورها ، ترجمة د. عبد الحليم محمود ، صيدا - بيروت ، ص ٦٨- ٧٠ ، ٨٥ - ١١١ ؛ وانظر ص ٧٤ - ٨٠ من البحث .

المبكرة من تاريخ المسيحية، اسم "اليهودية المسيحية" أو "المسيحية اليهودية".
أما المرحلة الثانية، فهي التي تبدأ مع ظهور القديس بولس و آرائه في ترك عادة الختان، التي اعتبرها أثرا من آثار اليهودية، و كان المعني الضمني لآرائه هذه، هو التفرقة بين المسيحية و اليهودية، و دفع الأولي أن تصبح دينا متميزا (١). و نطلق علي هذه المرحلة اسم "المسيحية بعد ظهور آراء القديس بولس".

و من المعروف لدي علماء تاريخ الأديان، أن المسيحية في بداية أمرها لم تكن عقيدة جديدة مستقلة لذاتها، بل ظهرت باعتبارها عقيدة يهودية دخلها الإصلاح، و علي هذا الأساس قام اليهود أنفسهم يبشرون بها. و هذا ما أراده القديس بطرس (٢)، الذي رأي أن يقف أمر

(٢) القديس بطرس Saint Pierre: كان اسمه الأصلي "سمعان" Simon و كانت مهنته صيد الأسماك. دعاه المسيح لمتابعته فآمن به. سماه المسيح "كيفا" Kepha و هي كلمة آرامية بمعني "الحجر أو الصخرة"، و قال له أنت الصخرة التي سأبني عليها كنيستي، ثم تُرجم هذا الإسم إلي اللاتينية في كلمة معناها الصخرة في هذه اللغة، و هي "بطرس" Petrus و هو رئيس الحواريين جميعا و أشدهم ملازمة للمسيح. وقف جهوده علي التبشير بالمسيحية في عهد المسيح و من بعده في كثير من البلاد، وانتهي به المطاف في روما حيث قُبض عليه و زُجّ به في السجن و حُكم عليه بالإعدام صلبا سنة ٦٧م علي الأرجح في زمن نيرون إمبراطور الدولة الرومانية آنذاك، و قد طلب أن يصلبوه مُنكّسا حتي لا يتشبه بالمسيح. أنشأ كنيسة روما التي يتولي رياستها بابوات الكنيسة الكاثوليكية، و هم يعتبرون أنفسهم خلفاء بطرس، و لذلك تسمي كنيستهم الكنيسة البطرسية. ـ أع ١٠:٤٤؛ ١١: ١ ـ ٣.
انظر: وافي، ص ٦٨ ـ ٦٩.

المسيحية عند هذا الحد . إلا أن تسامح القديس بولس في قبول غير اليهود للدخول في المسيحية ، دون أن يفرض عليهم أمر الختان أو الخضوع للتشريع الموسوي ، هذا التسامح قد أضعف من سيادة الرأي الأول ، و فتح للمسيحية آفاقا جديدة خارج حدود بيت لحم و أورشليم ؛ فأصبحت في حل من المفهوم الضيق الذي إنحصرت فيه اليهودية : "الشعب المختار"(١).

و فضلا عن تناولنا للختان في المسيحية بمرحلتيها ، في الصفحات التالية ،فإننا لن نغفل أيضا ، الإشارة إلي جماعات مسيحية لا تزال تمارس الختان حتي الوقت الحاضر .

أولا : الختان في مرحلة "اليهودية المسيحية" : كانت الجماعة الأولي من المؤمنين بالسيد المسيح في القدس و ما حولها ، جماعة يهودية صرفة . و ليس لدينا ما يدعو إلي الشك فيما يرويه "أعمال الرسل" بهذا الشأن . و كان أعضاء هذه الجماعة لا يفترقون عن اليهود الآخرين الأتقياء إلا في إيمانهم بأن عيسي الناصري قد شرّفه الله فجعل منه مسيحا ، و أن به قد تحققت الآمال .

و مما يجدر الإشارة إليه ، أن عيسي المسيح (عليه السلام) قد وُلد يهوديا ، ثم نشأ في بيئة يهودية إستعار منها وحدها ـ حسب ما نعلم ـ عناصر ثقافته الفكرية و الدينية ، أي أنه نشأ و تكون في بيئة يهودية بحته . و لقد إنتشرت المسيحية،أول ما انتشرت،خارج فلسطين ، علي أيدي اليهود أنفسهم(٢).

(١) العابد ، ص ٣١ .
(٢) جينيبر ، ص ٣١ ـ ٣٢ .

ففي شريعة اليهود ، أن الطفل يختن - كما ذكرنا آنفا [١] - بعد ثمانية أيام من ولادته ، كما أمر الله إبراهيم بذلك . و قد خُتن المسيح (عليه السلام) لما تم له ثمانية أيام [٢]. و لم يرد في القرآن الكريم أي ذكر عن ختانه ، و لكن ورد ذلك في إنجيل لوقا الذي توسّع في وصف طفولة السيد المسيح ، و روي لنا أخبار ختانه و تسميته و السفر به إلي بيت المقدس : "لما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سُمّي يسوع كما تسمّي من الملاك قبل أن حُبل به في البطن" ، و لما تمت أيام التطهير حسب الشريعة الموسوية "صعدوا به إلي أورشليم ليقدموه للرب . و لكي يقدموا ذبيحة كما قيل في ناموس الرب زوج يمام أو فرخي حمام" [٣]، و هو القربان المقبول من الفقراء [٤].

و ورد كذلك في إنجيل برنابا [٥]، الفصل الخامس :

---

(١) راجع ص (٤١-٤٢) من هذا البحث .

(٢) هناك بعض الآراء التي ذهبت إلي أن عيسي بن مريم (عليهما السلام) قد وُلد مختونا .
أنظر: الجاحظ ، ص ٢٧ ؛ الكاندهلوي ، ص ٢٤٣ ؛ القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢ ، ط٢بيروت، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢م، ص ١٠٠ .

(٣) لو ٢: ٢١ - ٢٤ ؛ وانظر كذلك : النجار(عبد الوهاب) ، قصص الأنبياء، ط ٣ ، بيروت ، ص ٣٨٥ ؛ العقاد (عباس محمود) ، حياة المسيح ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م ، ص ٢٠٥ .- وانظر لو ١ : ٥٧ - ٦٣ في ولادةيوحنا وختانه وتسميته ؛ وهو ابن اليصابات من بنات هارون و زوجها زكريا الكاهن من فرقة أبيّا ، و اليصابات هي نسيبة السيدة مريم أم السيد المسيح ، التي حبلت بعيسي (عليه السلام) وقت أن كانت اليصابات في شهرها السادس .

(٤) العقاد ، ص ٢٠٥ .

(٥) برنابا Saint Barnabe : كان يهوديا من اللاويين ، وكان اسمه يوسف وقد سمّاه الحواريون برنابا أي ابن الوعظ . و هو من التلاميذ السبعين علي

١ - فلما تمت الأيام الثمانية[1] حسب شريعة الرب كما هو مكتوب

= الأرجح . باع جميع أملاكه من أرض فلسطين و تبرع بماله للحواريين من أجل الدعوة إلي المسيحية و مساعدة فقراء المسيحيين . و هو الذي ضمن شاؤل (بولس) أمام الحواريين وشهد بصحة إيمانه و قص عليهم هدايته و ظهور المسيح له . و هو خال مرقس صاحب الإنجيل الثاني . وهو الذي سعي في هداية شاؤل (بولس) الذي كان يعتدي بالقتل و التشريد علي التلاميذ ، و قد كلفه الحواريون عدة مهام تتعلق بالتبشير و تنظيم المجتمعات المسيحية الأولي ، فقام وحده بما عهد إليه به خير قيام . ثم اصطحب بولس بعد ذلك و عملا معا ،واصطحبا معهما مرقس ابن أخت برنابا فطافوا - لإبلاغ الدعوة و هداية الكفار إلي المسيحية - في كثير من البلاد و منها أنطاكية و طرطوس . ثم اختلف برنابا مع بولس فافترقا . و ينسب لبرنابا انجيل و سفر في تاريخ الحواريين و التلاميذ يسمي أعمال الرسل ولا تعترف الكنائس المسيحية الآن بصحة هذا الإنجيل ولا هذا السفر ، ولا بصحة ما جاء فيهما، ولا بصحة نسبتهما إلي برنابا ، بل تذهب إلي أنهما مزيفان و أن ملفقيهما قد ألصقوهما ببرنابا ليروجوهما .- أع ٤: ٣٦ - ٣٧ ؛ ٩: ٢٦ - ٢٧ ؛ ١١: ٢٣ - ٣٠ ؛ ١٣: ١ - ٥ ؛ ١٤ : ١ - ٢٨ ؛ كول ٤ : ١٠

انظر : وافي ، ص ٧٣ - ٧٤ ؛ جنيبير ، ص ٦٥ - ١٠٢ ؛ شلبي (رؤف ، د.) ، أضواء علي المسيحية ، صيدا - بيروت ، ١٩٧٥م ، ص ٥٨ - ٦٠ .

(١) قارن لو ٢: ٢١ ، ٢٢ .

في كتاب موسى[٢] أخذا الطفل و احتملاه إلي الهيكل ليختناه .
٢ - فختنا الطفل و سمياه "يسوع" كما قال الملاك قبل أن حبل به في الرحم .
٣ - فعلمت مريم و يوسف أن الطفل سيكون لخلاص و هلاك كثيرين.

و يشير إنجيل برنابا ، علي لسان عيسي (عليه السلام) ، إلي أصل عادة الختان ، و أسباب إتباعها ، فيرجع بنا - و بها - إلي فترة حياة أبي البشر آدم (عليه السلام) . فحينما عصي آدم ربه ، نذر أن يقطع من نفسه عضوا إذا تاب الله عليه ، فلما قُبلت توبته و أراد الوفاء بنذره ، احتار ماذا يصنع ؟ فأشار عليه جبريل و دلّه علي هذا الموضع فقطعه. و لكن ، يبدو أن أبناءه تركوا هذه السنة حتي أمر الله سبحانه و تعالي إبراهيم (عليه السلام) بإحيائها [٣]

و هذا المعني يتضح مما ورد في إنجيل برنابا ، الفصل الثالث والعشرون ، الذي يتناول أصل الختان ، و عهد الله مع إبراهيم ، و لعنة الغلف [٤]:
١ - و لما قال ذلك يسوع جلس قريبا من الجبل الذي كانوا يشرفون عليه .
٢ - فجاء تلاميذه إلي جانبه ليصغوا إلي كلامه .
٣ - حينئذ قال يسوع : "أنه لما أكل آدم ، الإنسان الأول ، الطعام الذي نهاه الله عنه في الفردوس مخدوعا من الشيطان عصي جسده الروح [٥].

(١) قارن لاو ١٢ : ١٢ .
(٢) النجار ، ص ٦٤ .
(٣) فاضل (سيف الله أحمد) ، إنجيل برنابا - دراسات حول وحدة الدين عند موسي و عيسي و محمد عليهم السلام ، (تحقيق) ، ط ٢ ، الكويت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م ، ص ٦٥ - ٦٦ .
(٤) قارن غلا ٥: ١٧ "لأن الجسد يشتهي ضد الروح و الروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتي تفعلون مالاتريدون".

٤ ـ فأقسم قائلا : (تالله لأقطعنك).

٥ ـ فكسر شظية من صخر و أمسك جسده ليقطعه بحد الشظية .

٦ ـ فوبخه الملاك جبريل علي ذلك .

٧ ـ فأجاب : (لقد أقسمت بالله أن أقطعه فلا أكون حانثا) .

٨ ـ حينئذ أراه الملاك زائدة جسده فقطعها .

٩ ـ فكما أن جسد كل إنسان من جسد آدم وجب عليه أن يراعي كل عهد أقسم آدم ليقومن به .

١٠ ـ و حافظ آدم علي فعل ذلك في أولاده .

١١ ـ فتسلسلت سُنّة الختان من جيل إلي جيل .

١٢ ـ إلا أنه لم يكن في زمن إبراهيم سوي النزر القليل من المختونين علي الأرض .

١٣ ـ لأن عبادة الأوثان تكاثرت علي الأرض .

١٤ ـ و عليه فقد أخبر الله إبراهيم بحقيقة الختان .

١٥ ـ و أثبت هذا العهد قائلا: (النفس [1] التي لا تختن جسدها إيّاها أبدد من بين شعبي إلي الأبد) .

١٦ ـ فارتجف التلاميذ خوفا من كلمات يسوع لأنه تكلم باحتدام الروح.

١٧ ـ ثم قال يسوع: دعوا الخوف للذي لم يقطع غرلته لأنه محروم من الفردوس [2]...

...... و يصور إنجيل برنابا مدي إهتمام السيد المسيح باجراء الختان، و دعوته لاتباع سُنّة إبراهيم (عليه السلام) ، و تشدده في ضرورة إقامة هذه

---

(١) قارن تك ١٧:١٤" و أما الذكر الأغلف الذي لا يُختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه قد نكث عهدي".

(٢) قارن أشع ٥٢:١:"إستيقظي إستيقظي إلبسي عزك يا صهيون ألبسي ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة لأنه لا يعود يدخلك في ما بعد أغلف ولا نجس .

الشعيرة لدرجة أن برنابا قد نسب إلي السيد المسيح قوله: "أن الكلب أفضل من رجل غير مختون". نجد ذلك واضحا فيما ورد في الفصل الثاني والعشرين من إنجيل برنابا [١]:

١ - فسأل التلاميذ يسوع في ذلك النهار قائلين: يا معلم لماذا أجبت المرأة بهذا الجواب قائلا أنهم كلاب.

٢ - أجاب يسوع : الحق أقول لكم أن الكلب أفضل من رجل غير مختون.

٣ - فحزن التلاميذ قائلين : أن هذا الكلام لثقيل و من يقوي علي قبوله [٢].

٤ - أجاب يسوع: إذا لاحظتم أيها الجهال ما يفعل الكلب الذي لا عقل له لخدمة صاحبه علمتم أن كلامي صادق.

٥ - قولوا لي أيحرس الكلب بيت صاحبه و يعرّض نفسه للص ؟

٦ - نعم و لكن ما جزاؤه ؟

٧ - ضرب كثير و أذي مع قليل من الخبز و يظهر لصاحبه وجها مسرورا أصحيح هذا ؟

٨ - فأجاب التلاميذ : أنه لصحيح يا معلم.

٩ - حينئذ قال يسوع : تأملوا إذا ما أعظم ما وهب الله الإنسان فتروا إذا ما أكفره لعدم وفائه بعهد الله مع عبده إبراهيم [٣]..........

١٥ - حينئذ قال التلاميذ : قل لنا يا معلم لأي سبب يجب علي الإنسان الختان؟

١٦ - فأجاب يسوع: يكفيكم أن الله أمر إبراهيم قائلا [٤]: (يا إبراهيم اقطع غرلتك و غرلة كل بيتك لأن هذا عهدي بيني و بينك إلي الأبد).

---

(١) فاضل، ص ٦٤ - ٦٥.
(٢) قارن أع ١٥ : ١٠ "فالآن لماذا تُجرِّبون الله بوضع نير علي عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله".
(٣) أي عهد الختان.
(٤) قارن تك ١٧: ١٠ - ١١ "هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني و بينكم و بين نسلك من بعدك. يُختن منكم كل ذكر. فتُختَنُون في لحم غُرلتكم. فيكون علامة عهد بيني و بينكم".

و يتضح مما تقدم، أن السيد المسيح قد اتبع سُنَّة إبراهيم وشريعة موسي (عليهما السلام) في الختان ، ختان الجسد الذي عرفته اليهودية، و حقيقة نستطيع القول أن المسيح كان صغيرا ، فخضع للناموس ، لأنه لم يكن في إستطاعته يومذاك أن يتحكم في جسده [١]. و لكن من الثابت - في إنجيل برنابا فيما أوردناه - أن السيد المسيح قد دعا إلي إجراء الختان واتباع ما أمر اللهُ عبده إبراهيم .

ثانيا : الختان بعد ظهور بولس و آرائه : بعد أن ترك السيد المسيح تلاميذه ، يُروي أنهم عقدوا مجمعا في أورشليم ، بعد وفاة السيد المسيح باثنتين وعشرين سنة، و توصلوا إلي قرار بعدم التمسك بالختان، و عدم التمسك بشريعة موسي [٢]. و قد كان للقديس بولس و آرائه أكبر الأثر في هذا التحول .

فمن هو القديس بولس ؟ و ما هي آراؤه في موضوعنا هذا ؟

وُلد بولس من عائلة يهودية أقامت بمدينة طرسوس في سيليفيا [٣]. و لأنه وُلد بأرض يونانية ، كان يتحدث بلغة يونانية و يكتبها منذ نشأته الأولي. و كان يحمل لقب "مواطن روماني" وراثة عن أبيه . و بسبب ظروفه هذه، كان معدا إعدادا تاما لإدراك و تفهم التطلعات الدينية لدي يهود المهجر الذين يؤمنون بعيسي كما آمن هو به ، و لدي المتتلمذين عليهم من الطوائف الدينية المختلفة . و كان في البدء علي عداء عنيف للمسيحيين ، ثم

(١) اليازجي ، ص ٣٠٨ .
(٢) شلبي (رؤوف) ، ص ٩٤ ؛ وانظر أع ٢١:٢١؛١٤ .
(٣) كانت طرسوس مدينة نشطة ، تقع علي نهاية حدود إقليم سيليفيا ، وكانت حلقة الإتصال بين هضبة آسيا الصغري وبين الشام ، و مفترق الطرق التجارية الهامة التي تجلب إليها بصفة دائمة سيلا من الأفكار و العقائد و التأثيرات المختلفة، من اليونان وإيطاليا وفريجيا وكابادوسيا والشام وقبرص وفينيقيا ومصر.

تحول إلي صفهم علي إثر أزمة نفسية لحقت به نتيجة لصراع داخلي مبهم و طويل . و لقد إنتهت هذه الأزمة إلي رؤيا حاسمة ، حيث أيقن بولس أنه أبصر السيد المسيح أو تلقي منه كلمات واختص منه بالتشريف الأعظم : "أن يكون من الحواريين" ، و ذلك خلال رحلة له قاصدا دمشق .

و قد وقع بولس تحت تأثيرات معينة حددت معالم الطريق في تحوله الديني ، و جعلته ينقلب فجأة من متعصب للشريعة اليهودية إلي نصير لا يقهر للسيد المسيح . و قد تلقي تربية مسيحية ، و نعني بذلك أنه إتصل بأشخاص معينين قدموا إليه صورة معينة لشخصية عيسي ولدعوته. و يجب أن نشير هنا إلي أن بولس لم يلتق بعيسي طوال حياته، لذلك لم تكن تأملاته عن شخص الأستاذ و تعاليمه لتحدها آفاق الذكريات والواقع، كما كان الحال بالنسبة إلي الإثني عشر من الحواريين الذين بدأوا بالدعوة (١).

لقد كان بولس صاحب نظريات خاصة في المسيحية ، و كانت نظرياته هذه متأثرة إلي حد بعيد بالفكر الهيلينستي . و قد صقلته الأيام علمته ، بقدر ما شهدت من نشاطه الواسع ، و ما حفلت به من المخاطر و المغامرات الخصبة . فتعلم - ضمن ما تعلمه - من هذه الحياة، حقيقة لم يكن في وسع الحواريين الإثني عشر أن يتقبلوها في سهولة ، و لم يستطيعوا إدراكها بمثل إدراكه هو . تلك الحقيقة هي : أن "المتقين لله" كانوا يؤمنون بسهولة بفكرة "المسيح" ; بينما غالبية اليهود

---

(١) جنيبير ، ص ٦٨ - ٧٠ ، ٨٦ .

الخالصين يضعون علـــي آذانهم و قلوبهـــم غشـــاء عندما يدعوهم المسيحيـــون إلـــي ذلك [١]. فهـــل كان علي الحواريين وأتباع المسيح أن يتركـــــوا اليهـــود فـــي ضلالهم ، و يبشـــرون بدعوتهم خارج ديار إســـرائيل ؟ و فضـــلا عن هـــؤلاء المريدين من "المتقيـــن اللـــه"ـ الذين تميزوا علي الأقل بثقافتهـــم اليهـــودية ـ فإن هناك جماعات أخـــري من المشركين البسطاء ، من الأمـــم الأجنبية ، لابد أن توجـــه لهم الدعـــوة للدخـــول إلـــي الإيمان الجديد .فهـــل يقبل المبشـــرون بالمسيحية دخـــول هـــؤلاء فيها، و هل يعدوهم بنصيبهم من مملكة اللـــه ؟ هل يصبح هـــؤلاء الأجانب ، الذين يجهلون شـــريعة موسي ، أصحـــاب حـــق فـــي ميراث أمـــة "يهـــوه"؟

وإذا كناقد عرفنـــا أن الحواريين الإثني عشرعاشوابالقرب من السيدالمسيـــح، و لازموه فـــي حياته ، و نهـــلوا من تعاليمه ، و ظلـــوا في نفس الوقـــت علـــي يهوديتهم ، فإننا نستطيع تفسير موقفهم الرافض لآراء بولس ، دون أن نتعجـــب مما أبـــدوه من تردد واضح إزاءها . فقـــد فـــرض بولس عليهم هـــذه الآراء فرضـــا ، إذ إستطاع إيجاد البراهين المقنعة بشأنها ، معتمدا علي تحليل أوجه النجـــاح التي لمســـها خـــلال رحلته التبشيرية الأولي في ربوع آسيا الصغـــري، ثم إن مجتمع القدس كان يظن أن روحا إلهية تدفع بولـــس ـ الحواري الثالث عشـــر ـ في كل ما يقوم بـــه من أعمـــال .

---

(١) أ ع ٢١: ١٧ و ما بعـــدها .

و لما أصبح مبدأ دخول المشركين في الدين الجديد مقبولا ، وجد أنه من الصالح تيسير تطبيقه . و كان بولس علي علم بأن عملية الختان لا يرضي عنها أهل اليونان ، و بأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم و أساليب تفكيرهم ، فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح ، بل أن هذا المسيح أتي خصيصا ليبدل عهدا قديما بعهد جديد . و أذعن الحواريون الإثنا عشر لبولس مرة أخري ، فقبلوا فكرة إعفاء الأتباع الجدد في ديار الوثنية من أحكام شريعة اليهود[1] ، و كانت هذه النقطة بداية للتفرقة بين المسيحية و اليهودية ، و إظهار الأولي باعتبارها دينا مميزا .

منذ ذلك الحين ، تغيرت نظرة المسيحية إلي الختان ، فالختان في اليهودية هو ختان الجسد ، بينما في المسيحية هو ختان القلب و الذهن و الروح ، أي ، الختان المصنوع باليد في اليهودية ، يقابله الختان غير المصنوع باليد في المسيحية . و من الوجهة الروحية البحتة ، يعتقد المسيحيون أن " الختان هو الإنسان العتيق ، والمعمودية هي الإنسان الجديد ، أي الخليقة الجديدة . الختان هو لبس خطايا البشرية ، و المعمودية هي ختان المسيح ؛ الأول هو ختان الكتاب ، و الثاني هو ختان القلب و الروح ؛ الأول يخضع للجسد و يقاوم الروح ، و الثانية

(١) جنيبير ، ص ١٠٤ .

ـي حياة الروح و تجـديد الذهـن و مقاومـة الجسـد" (١).

فالختان، لا ينفـع كما يقـول بـولـس . إنه وسيلة مادية بحتـة لا علاقـة لهـا بما هـو روحـي . "فإن الختان ينفـع إن عملـت بالنامـوس. و لكن إن كنـت متعـديا الناموس فقـد صـار ختانك غرلة . إذاً إن كـان الأغرل يحفـظ أحكام الناموس أفما تُحسـب غرلته ختانا . و تكون الغرلـة التي من الطبيعـة و هـي تكمـل النامـوس تـدينك أنت الذي في الكتـاب و الختـان تتعـدي الناموس . لأن اليهـودي فـي الظاهـر ليس هو يهـوديا ولا الختان الـذي فـي الظاهـر فـي اللحم ختانا . بل اليهودي فـي الخفاء هـو اليهـودي ، و ختان القلب بالروح لا بالكتـاب هـو الختان الذي مدْحُـه ليـس من الناس بل من اللـه (٢).

"إذاً ما هو فضـل اليهـودي أو ما هـو نفـع الختان . كثير علي كـل وجـه . أما أولا فلأنهم إستؤمنوا علـي أقـوال اللـه . فماذا إن كان قـومٌ لم يكـونوا أمنـاء . أفلعل عـدم أمانتهم يُبطـل أمانة اللـه . حاشا ، بـل ليكـن اللـه صادقا و كل إنسـان كاذبا....." (٣).

و في رسالته الأولي إلي أهل كورنثوس (٤) يوضح لهم بولس أنه إذا دُعـي أحـد و هو مختون فـلا يصير أغلف ، و إذا دُعي في الغرلة فلا يختن ، "ليـس

---

(١) اليازجي ، ص ٣٠٦ و ما بعدها ؛ The Universal Ency., P.216.
وانظر أع ٧:٥١ ؛ ١٥ : ١ - ٢٩ ؛ ٢١ : ٢١ ؛ أفسس ٢ : ١١-١٣ ،غلا ٥:١-٦ .
(٢) رو ٢:٢٥ - ٢٩ ؛ See:The Universal Jewish Ency.,P.214.
(٣) رو ٣: ١-٤ ؛ See: Ency.Judaica,Col.570.
(٤) ٧ : ١٨ - ١٩ .

الختان شيئا و ليست الغرلة شيئا بل حفظ وصايا الله".

و في رسالته إلي أهل غلاطية [1] يقول لهم: "إن إختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا"، "لكن أشهد أيضا لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس"، "لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ، ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة".

و يتعرض بولس في دفاعه عن قضيته ، إلي عهد الختان الذي إرتبط بإبراهيم (عليه السلام) ، و الوارد في ناموس موسي (تك ١٧: ٩-١٤)، فيشير إلي أن مكانة إبراهيم السامية عند الرب قد توصل إليها عن طريق إيمانه بالله ، و ليس بالختان ، و إيمانه هذا حُسب له و هو في غرلته . "و أخذ علامة الختان ختماً لبر الإيمان الذي كان في الغرلة ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون و هم في الغرلة كي يحسب لهم أيضا البر . و أبا للختان للذين ليسوا من الختان فقط بل أيضا يسلكون في خطوات إيمان أبينا إبراهيم الذي كان و هو في الغرلة . فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثا للعالم بل ببر الإيمان" [2].

و لما كان بولس راغبا في إظهار المسيحية و تقديمها إلي اليهود بتعبيرات تكاد تكون قريبة من التعبيرات اليهودية – إذ كان ملما بناموسهم – لتقريبها إلي أذهانهم ، لذلك فإنه عمد إلي إستعمال كلمة الختان ، فأصبحت المعمودية تعني ختان القلب و الروح و ليس ختان الجسد [3].

(١) ٥: ٢-٦ ،
(٢) رو ٤: ١١-١٣ .
(٣) اليازجي ، ص ٣١٥ .
See: The Universal Jewish Ency., P.216.

و من ثم إعتبرت المسيحية معمودية عيسي (عليه السلام) علي أنها "ختان المسيح"، و ربما اعتبرت الختان الفعلي الذي أُجري له في اليوم الثامن لولادته (لو ٢:٢١) بديلا عن ختان جميع المسيحيين من بعد (كول ٢:١١) . وانتقلت المسيحية من مرحلة الختان - ختان الجسد - إلي مرحلة المعمودية بالماء ، ثم أخيرًا ، إلي مرحلة معمودية الروح القدس .

لقد تصور الفكر الديني المسيحي أن يوحنا بن زكريا ، المعروف بـ"يوحنا المعمدان" ، قد جاء ليكون وسطا بين القديم و الجديد ،حيث نبذ الختان و نادي بمعمودية الماء . و عندما أرسل اليهود من أورشليم كهنة و لاويين إلي يوحنا ليسألوه : من أنتَ ؟ قال لهم : "أنا أعمِّد بماء" . . . "جئتُ أُعمِّد بالماء" ، "لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي تري الروح نازلا و مستقرا عليه فهذا هو الذي يُعمِّد بالروح القدس"(١).

إن معمودية يوحنا بالماء - حسب الفكر المسيحي - هي رمز إلي الحياة و التطهر ، فالماء كان يرمز علي الدوام إلي إنبثاق الحياة ، و في لوقت ذاته يشير الماء إلي إزالة الأوساخ الجسدية ، و هذا رمز يشير لي أن الماء وسيلة أفضل بكثير من الختان ، بل "ليس الختان شيئا"(٢) .

---

١) يوح ١:١٩-٣٤ ؛ وانظر لو ٣:١٦ .
٢) كور(١) ٧: ١٩ .

و لما كان يوحنا المعمدان قد حقق درجة روحانية معينة ، فإنه لم يستطع أن يعمد بأكثر من الماء [١].

أما معمودية المسيح بالروح القدس - حسب الفكر الديني المسيحي - فهي رمز إلي الحياة الكاملة و الطهر الكامل . و هذه الحياة الكاملة هي الروح ، و هذا الطهر الكامل هو قدس الأقداس . إن يوحنا ذاته قال بأن الذي يأتي بعده سيُعمّد بالروح القدس . إذاً ، فإن معمودية السيد المسيح قد أبطلت معمودية الماء ، و أبطلت الختان [٢] .

و بناء علي ما تقدم ، يتضح لنا أن السيد المسيح قد مر بالمراحل الثلاث : الختان و معمودية الماء ، و معمودية الروح القدس. فلِمَ مر السيد المسيح بالمراحل الثلاث ، و ماذا قصد من هذا ؟

يذهب الفكر الديني المسيحي في تفسير ذلك إلي أن السيد المسيح كان صغيرا عندما خضع للناموس ، فلم يكن باستطاعته يومذاك أن يتحكم في جسده . و لكن بعد أن قضي ثمان عشرة سنة في التأمل [٣]، و كان ينمو بالروح ، أدرك الحقيقة . فقد عرف أن الختان شئ يمت إلي الجسد فقط ، ولا علاقة له بالروح . فقد إعتقد اليهود أن ختانهم يرمز إلي بقائهم في الحظيرة اليهودية ، و أنهم خُتنوا للرب ، و كأن الختان "علامة

(١) اليازجي ، ص ٣٠٧ .   (٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٧ - ٣١٠ .

(٣) انظر لو ٢:٤٢ ؛ ٣:٢٣ .

مسجلة لهم ، و بهذه العلامة يُظهرون ولاءهم بأنهم مختونون . و في إدراك المسيح لهذه الحقيقة مضي ليعتمد عند يوحنا .

و لكن ، ماذا قصد السيد المسيح من معمودية يوحنا ؟

يشير الفكر الديني المسيحي إلي معمودية يوحنا بأنها كانت طريقا وسطا بين الجسد و الروح (١)، كانت طريقة التوبة عن الخطايا (٢). لذلك فإن السيد المسيح شجعها لفترة ، حتي يبرهن علي وجود معمودية أعظم وليقلع اليهود عن طريقهم البالية (٣) التي كانت تدل علي إستمرار النسل بالختان (٤)، فقَبِل الإعتماد من يوحنا المعمدان . و في الإعتماد حلّ عليه الروح القدس (٥). و بحلول الروح القدس بطلت المعمودية بالماء وختان الجسد، وذلك لأن درجة الحياة العليا قد تحققت بمعمودية الروح (٦) .

خلاصة القول ، أن الختان الذي ورثه المسيحيون الأوائل عن اليهودية ، قد تحول إلي المعمودية بالماء ، التي نعرفها أيضا بطقس الغطاس ، الذي بدأه يوحنا المعمدان الذي كان معاصرا للسيد المسيح .

---

(١) لو٧: ٢٨ "لأني أقول لكم أنه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان ، و لكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه".
(٢) انظر لو ٣ : ٣ .
(٣) انظر لو ٧: ٢٩ - ٣٠ "و جميع الشعب إذا سمعوا و العشارون برّروا الله معتمدين بمعمودية يوحنا . و أما الفريسيون و الناموسيون فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم غير معتمدين منه". و يقول إستفانوس - و هو من أتباع المسيح - و هو يخاطب اليهود في المجمع : "يا قساة الرقاب و غير المختونين بالقلوب و الآذان أنتم دائما تقاومون الروح القدس ، كما كان آباؤكم كذلك أنتم" (أ ع ٧ : ٥١) .
(٤) راجع ص ٢١-٣٢ من البحث .
(٥) لو ٣ : ٢١ - ٢٢ .
(٦) اليازجي ص ٣٠٨ ؛ وانظر لو ٤: ١ - ٣٠ .

وفي هذه المسألة - في التغطيس - يقول صاحب كتاب "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب"[1]: "اعلموا - رحمكم الله - أن لوقا قال في إنجيله أن عيسى - عليه السلام - قال: من تغطس دخل الجنة، و من لم يتغطس فله جهنم خالدا مخلودا فيها أبدا. من أجل هذا النص يعتقد النصاري أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بالتغطيس. فيقال لهم: ماتقولون في إبراهيم و إسحق و يعقوب و جميع الأنبياء، في الجنة أم لا؟ فلابد أن يقولوا: هم في الجنة. فيقال لهم: كيف دخلوها و لم يتغطسوا. وهم يجيبون عن هذا بأن الإختتان أجزاهم عن التغطيس. فيقال لهم: ماتقولون في آدم ونوح وذريته وصلبه؟ فإنهم ما إختتنوا ولا تغطسوا قط[2]، و هم في الجنة بنص أناجيلكم و إجماع علمائكم، وليس لهم عن هذا جواب البتة".

الجماعات المسيحية التي تمارس الختان:

يشير الجاحظ في كتابه "الحيوان"[3] إلي أن النصاري قد أجروا بالفعل عملية الختان لأولادهم، مثلهم في ذلك مثل اليهود و المسلمين، فيقول:

« زعم ناس من أطباء النصاري و هم أعداء اليهود، أن اليهود يختتنون أولادهم في اليوم الثامن، و أن ذلك يقع و يوافق أن يكون في الصّميمين[4]، كما يوافق الفصلين، و أنهم لم يروا قط يهوديا أصابه

(١) الترجمان (عبد الله)، تحقيق وتقديم د. الطاهر المعموري، ط ١، تونس ١٩٨٣م، ص ٣٣.
(٢) مسألة ختان آدم و نوح و ذريته لصلبه، لم يرد بشأنها أي ذكر في القرآن الكريم، أو العهد القديم، أو العهد الجديد بأسفاره المعتمده، ولا نستطيع إثباتها أو نفيها. ومع ذلك يجب أن نأخذ في الإعتبار ما ورد بشأن ختان آدم في إنجيل برنابا، الفصل الثالث والعشرون، الذي يرجع بأصل الختان إلي أيامه.
(٣) ص ٢٥ - ٢٦.
(٤) يراد بالصميمين، الصيف و الشتاء في أشد حالاتهما.

مكروه من قِبَل الختان ، و أنهم قد رأوا من أولاد المسلمين و النصاري ما لا يُحصي من لقي المكروه في ختانه ...)) .

و يبدو أن الجاحظ يشير بذلك إلي أولئك النصاري الذين كانوا يعيشون هم و اليهود كأقلية وسط العرب المسلمين ، فأخذوا عنهم عادة الختان ضمن ما أخذوه من عادات و تقاليد . أي أن إشارته هذه لم تشمل كل المسيحيين ، ولم يكونوا قطعا من أتباع بولس و تعاليمه في هذا الشأن . و لكن ما يهمنا نحن ، أن هناك من المسيحيين من ظل يمارس إجراء الختان .

و جدير بالذكر أيضا ، أن الكنيستين القبطية و الحبشية لا يزال أتباعهما يقومون بإجراء الختان ، ربما كميراث مصري قديم[1].

و كان الأقباط في مصر يحتفلون بعيد "الختان" في اليوم السادس من شهر بؤونة ، و يزعمون أن السيد المسيح قد خُتن في هذا اليوم ، الذي يوافق الثامن من الميلاد[2]. و يقول المقريزي[3] أن "القبط من دون النصاري تختتن بخلاف غيرهم". و يلتزم الأحباش بإجراء الختان في اليوم الثامن لميلاد الطفل ، بينما يقوم الأقباط بختان أطفالهم فيما بين عامهم السادس و الثامن[4].

---

(١) האנצ'יק' העברית , עמ' 194 .

(٢) المقريزي (تقي الدين أبوالعباس أحمدبن علي)، كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط و الآثار المعروف بالخطط المقريزية ، ج ١ ، القاهرة ، ص ٢٦٦؛ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب ، السفر الأول ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٤٧هـ – ١٩٢٩م، ص ١٨٤ .

(٣) الخطط المقريزية ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

(٤) האנצ'יק' העברית , עמ' 194 .

ومنذ حوالي القرن السادس عشر ، تحتفل الكنيسة باليوم الأول من يناير باعتباره عيد ختان السيد المسيح[1].

(1) The Universal Jewish Ency., P. 216.

الفصـــــل الخامـــــس

الختـــــان فـــي الإســـــلام

الختان من خصال الفطرة :

عرفنـــا أن عادة الختـــان كانت من العادات القـــديمة التي مارســـها عـــرب الجاهليـــة قبـــل الإســـلام ، و لما ظهـــر عليهم فجـــر الإســـلام ، لـــم يكـــن هناك ما يحـــرم الإستمرار فـــي ممارســـة هـــذه العـــادة ، فظـــلوا يمارســـونها و هم مســـلمون ، علـــي الرغم من أن القرآن الكريم لم يأمـــر المســـلمين صراحـــة بالإختتان ، بل لم يـــرد ذكـــر فيه . لكن الحـــديث الشـــريف قـــد أورد لنـــا فـــي مواضـــع مختلفـــة إشارات كثيرة عنه ، تحمـــل للمســـلمين الأمر بممارســـته باعتباره من" الفـــطرة" ، و يشير بعضهـــا إلي بعـــض جوانبـــه المتعلقة بطريقة إجـــرائه ، أو الحكمـــة فيه ، أو أصـــوله التاريخيـــة التي ترجـــع إلـــي ما قبل عهد الرسول صلي الله عليه و سلم .

و قـــد أوردت كتـــب الحديث النبوي الشريف ، عـــدة أحاديث ، جاء فيهـــا "الختان" بوصفه واحـــدا من خصـــال "الفطرة" . و وصلتنا أحاديث الفطـــرة فـــي أكثر من روايـــة :

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)عن النبي صلي الله عليه و سلم ، قـــــال: "الفطـــرة خمـــس أو خمـــس من الفطـــرة : الختان و الإستحداد [1] و تقليـــم

(١) الإستحداد هو إستعمال الحديدة ،وهي الموس لحلق العانة، ويقال الإســتعانة أيضا. و العانة هي الشعر النابت فوق قبل المرأة و ذكر الرجل . ويقـــال لمنبته الركب ، و قيل أن إزالتها بغير الحديد لا يكون علي وجه الســـنة وقيل أيضا أن الإزالة قد تكون بالنورة،حيث ثبت أنه عليه الصلاة و السلام إستعمل النورة. أنظر : مسلم(الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيابوري) ،الجامع الصحيح،مج ١ ، ج ١ ، بيروت ، ص ١٥٣ .

الأظفار و نتف الإبط و قص الشارب [1].

و في رواية أخري ، عن أبي هريرة عن رسول الله صلي الله عليه و سلم أنه قال : الفطرة خمس الإختتان و الإستحداد و قص الشارب و تقليم الأظفار و نتف الإبط [2].

ومالك عن سعيد ابن ابي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : خمس من الفطرة : تقليم الأظافير ، و قص الشارب ، و نتف الإبط ، و حلق العانة ، و الإختتان [3].

---

(١) رواه البخاري ٢٨٢/١٠ - ٢٩٣ في اللباس ، باب قص الشارب ، و باب تقليم الأظفار ، و في الإستئذان ، باب الختان بعد الكبر ، و نتف الإبط و مسلم رقم ٢٥٧ في الطهارة ، باب خصال الفطرة ، و الموطأ ٩٢١/٢ في صفة النبي صلي الله عليه و سلم ، باب ما جاء في السنة في الفطرة ، و الترمذي رقم ٢٩٠٥ في الأدب ، باب ما جاء في تقليم الأظفار ،وأبوداود رقم ٤١٩٨ في الترجل ، باب في أخذ الشارب ، و النسائي ١٤/١ - ١٥ في الطهارة ، باب تقليم الأظفار ، و باب نتف الإبط - أنظر : النووي، ص ١٤٦ ، مسلم ، ص ١٥٢ ، إبن الأثير (الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد : إبن الأثير الجزري) ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ج ٤ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، ص ٧٧٣ .

(٢) النووي ، ص ١٤٦ ، مسلم ص ١٥٢ ، البيهقي ، ص ٢٢٣، السيوطي (الحافظ جلال الدين) ، سنن النسائي بشرح السيوطي و حاشية الإمام السندي، مج (ج ١ ، ط ١ ، دار الفكر بيروت ، ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠م ، ص ١٤ .

(٣) الكاندهلوي ، ص ٢٢٣ .

و في رواية عن إبي هريرة قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : خمس من الفطرة قص الشارب ، و نتف الابط ، و تقليم الأظفار و الإستحداد ، و الختان [١].

و في رواية عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه و سلم قال: خمس من الفطرة الختان و حلق العانة و نتف الإبط و تقليم الأظفار وأخذ الشارب [٢].

و في رواية ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه و سلم يقول: الفطرة خمس : الختان ، و الإستحداد ،وقص الشارب ، و تقليم الأظفار ، و نتف الإبط [٣].

و عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله صلي الله عليه و سلم : خمس من الفطرة : الإستحداد ، و الختان ، و قص الشارب ، و نتف الإبط و تقليم الأظفار [٤].

يتضح لنا من الأحاديث السابقة المنسوبة إلي رسول الله صلي الله و سلم ، أن الختان من الفطرة . و في قول النبي (صلي الله عليه و سلم) "الفطرة خمس" أو "خمس من الفطرة"، لم يقصد به التحديد أو الحصر،

(١) السيوطي ، ص ١٤ .
(٢) المرجع السابق ،ص ١٥ .
(٣) إبن الأثير (مجد الدين) ، ص ٧٧٣ .
(٤) الترمذي ٢٩٠٥/٤ ، ص ١٨٤ ، إبن العربي (الإمم الحافظ) ، عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي ، ج ١٠ ، دار الفكر ، بيروت ، ص ٢١٥ .

ففي حديث آخر : "عشر من الفطرة قص الشارب و إعفاء اللحية و السواك و إستنشاق الماء و قص الأظفار و غسل البراجم و نتف الإبط و حلق العانة وانتقاص الماء - قال مصعب و نسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة"(١). و دليل آخر علي عدم إنحصارها في عدد بعينه ، قوله (صلوات الله عليه) : "من الفطرة".

معني الفطرة و المراد بها :

يتضح مما تقدم ، أن الختان من خصال الفطرة ، لأن "الفطرة" هي الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام ، و هذه الخصال قد أمر بها إبراهيم ، و هي من الكلمات التي إبتلاه ربه بهن ، قال تعالي: « و إذا إبتلي إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن» (٢).

و "الفطرة" ، فطرتان : فطرة تتعلق بالقلب ، و هي معرفة الله و محبته و إيثاره علي ماسواه ، و فطرة عملية ، و هي هذه الخصال فالأولي تزكي الروح و تطهر القلب ، و الثانية تطهر البدن ، وكل منهما تمد الأخري و تقويها ، و كان رأس فطرة البدن : الختان(٣).

---

(١) النووي ، ص ١٤٦ - ١٤٧ ، السيوطي، ص ١٤ ، إبن العربي ، ص ٢١٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٢٤ .

(٣) إبن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٢٦ ، علوان (عبد الله ناصح) تربية الأولاد في الإسلام ، ج ١ ، ط ٣ ، حلب - بيروت ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ص ١٠٢ .

و قد إختلف مفسروا الحديث و فقهاء المسلمين في تفسير معني "الفطرة" و المراد بها ، فذهب أكثر العلماء إلي أنها السُنة القديمة التي إختارها الأنبياء واتفقت عليها الشرائع ، فكأنها أمر جبلي فطروا عليه [١]. ففي قوله صلي الله عليه و سلم : "عشر من الفطرة" أي عشر خصال من سنن الأنبياء الذين أمرنا أن نقتدي بهم فكأننا فطرنا عليها [٢]. و في حديث عائشة : "عشر من السُنَّة" أي بدل "عشر من الفطرة"، و المراد بالسُنَّة : الطريقة ، أي أن ذلك من سنن الأنبياء ، و طريقتهم لأن بعضها واجب ، و من لا يري وجوب شيئ منها يحملها علي السُنَّة التي تقابل الواجب [٣]. و قيل أنه يوجد إشكال في تفسير الفطرة بالسُنَّة ، و هو بعد معني السُنَّة من الفطرة في اللغة ، فلعل وجهه أن أصله سُنَّة الفطرة أو آداب الفطرة فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه . و قال النووي أن تفسير الفطرة هاهنا بالسُنَّة هو الصواب ، لأنه ورد في رواية : "من السُنَّة قص الشارب و نتف الإبط و تقليم الأظفار"، و أصبح ما فُسر به غريب الحديث تفسيره بما جاء في رواية أخري [٤].

---

(١) الكاندهلوي ، ص ٢٢٢ ، وانظر أيضا : النووي ، ص ١٤٨، السيوطي ص ١٤ - ١٦ ، مسلم ، ص ١٥٣ ، القسطلاني ، ص ١٦٩ .

(٢) الكاندهلوي ، ص ٢٢٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٤) السيوطي ، ص ١٤ .

و قيل في مناسبة تسمية هذه الخصال بالفطرة : أن في هذه الخصال محافظة علي حُسن الهيئة و النظافة ، و كلاهما يحصل به البقاء علي أصل الخلقة التي خلق الإنسان عليها ، و بقاء هذه الأمور و ترك إزالتها يشوّه الإنسان و يقبحه ، فيخرج مما تقتضيه الفطرة الأولي[1]. و قال أبو شامة أن أصل الفطرة هو الخلقة المبتدأة و المراد بها هنا أن هذه الأشياء إذا فعلت إتصف فاعلها بالفطرة التي فطر الله العباد عليها و حثهم عليها و إستحبها لهم ليكونوا علي أكمل الصفات و أشرفها صورة[2].

وقيل أنه يتعلق بهذه الخصال المذكورة في أحاديث الفطرة مصالح دينية و دنيوية تدرك بالتتبع ، منها تحسين الهيئة و تنظيف البدن جملة و تفصيلا ، و الإحتياط للطهارتين و الإحسان إلي المخالط و المقارن بكف ما يتأذي به من رائحة كريهة ، و مخالفة شعار الكفار من المجوس و اليهود و النصاري و عباد الأوثان ، وامتثال أمر الشارع و المحافظة علي ما أشار إليه قوله تعالي : « و صوركم فأحسن صوركم »[3] لما في المحافظة علي هذه الخصال من مناسبة

---

(١) أنظر الكاندهلوي ، ص ٢٢٣ .

(٢) السيوطي ، ص ١٤ .

(٣) قال الله تعالي : « و صوركم فأحسن صوركم و رزقكم من الطيبات » (غافر : ٦٤) ، « و صوركم فأحسن صوركم و إليه المصير » والتغابن : ٣) ، « هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء » (آل عمران ٦:)

ذلك و كأنه قال: قد حسنت صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها ، أو حافظوا على ما يستتر بها حسنها ، و في المحافظة عليها محافظة على المروءة ، و على التآلف المطلوب لأن الإنسان إذا بدي في الهيئة الجميلة كان أدعي لانبساط النفس إليه فيقبل قوله و يحمد رأيه و العكس بالعكس [١].

و ذهب العلماء أيضا إلي أن المراد بالفطرة ، هو الدين ، كما قال تعالي: «فطرة الله التي فطر الناس عليها» [٢]، أي دين الله الذي إختاره لأول مفطور من البشر ، و هذه الأفعال من (توابع) الدين ، بحذف المضاف [٣] . و قيل أن الفطرة إبتداء الخلق وابتداء ما خلقوا عليه الإسلام ، و هذا يعني أن المراد بالفطرة الإسلام [٤] .

و علي أية حال ، فالختان سُنَّة قديمة من سنن الأنبياء ،وقد أُمر المسلمون بالإقتداء بهم واتباعهم . ولا بد أنهم أدركوا أهميته و فوائده بالنسبة للشخص الذي يمارسه ، حيث يتعلق الختان بأسباب النظافة و الطهارة و صحة البدن .

---

(١) الكاندهلوي ، ص ٢٢٣ .

(٢) سورة الروم : ٣٠ .

(٣) السيوطي ، ص ١٤ ، النووي ، ص ١٤٨ ، الكاندهلوي ، ص ٢٢٢ .

(٤) القرطبي ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

الختـــان بيـــن الوجـــوب و النـــدب :

إختلف العلمـــاء و المفســرون فـــي حكم الختان ، هل يعتبرونـــــــه واجـــب أم سُـنّة ؟ فمعظـم هـــذه الخصال الواردة فـــي أحاديث الفطـــــرة ليســت بواجبة عنـــد العلمـــاء ، و فـــي بعضهـــا خـــلاف في وجـــوبه كالختان و المضمضـــة و الإستنشـــاق ، و يرون أنه لا يوجـــد ما يمنع من إقتران الواجب بغيره [1].

فالختـــان واجـــب عنـد الشافعـــي و أحمـــد و كثير من العلمــــــاء ، و سُنّة عنـــد مالك و أبي حنيفة و بعـض الحنابلة و أكثر العلمـــاء [2] وقيـــل أنه واجـب عنـــد مالــك ، بل إنه شـدّد فيه حتي قال : "من لم يختتن لم تجـز إمامته و لم تقبـــل شهادته" ، و لكن نقل كثير من الفقهـــاء عن مالك أنه سُـــنّة [3] و هـــو عنـــد الشافعـــي واجـــب علـــي الرجال و النســـاء جميعا [4].

و قـــد إحتج الموجبون له بوجـــوه [5] ، منهـــا قوله تعالي : ((ثم أوحينا إليك أن اتبـــع ملة إبراهيم حنيفا)) [6]. حتي قال بعـض القدماء الذيـــــن

---

(١) النووي ، ص ١٤٨ .

(٢) القسطلاني، ص ١٦٩، النووي، ص ١٤٨، علوان ، ص ١٠٢-١٠٣، الكاندهلوي، ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٣) إبن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٢٧ .

(٤) النووي ، ص ١٤٨ .

(٥) أنظر : إبن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٢٨ .

(٦) سورة النحل : ١٢٣ .

ذهبوا إلي وجوبه : ((لو أسلم الكبير لم يتم إسلامه حتي يختتن)) . وفي رواية عن بعض المالكية يجب ، و عن أبي حنيفة واجب ليس بفرض عنه سنّة يأثم بتركه ، وفي وجه للشافعية لا يجب في حق النساء[1] و ذلك لما ورد في الحديث عن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه و سلم قال: "الختان سُنّة للرجال و مكرمة للنساء"[2]، فإن التفرقة بين الرجال و النساء في هذا الحديث يدل علي إفتراق الحكم ، فلا ينحصر الأمر في حقهما في الوجوب ، فقد يكون في حق الرجال أكثر تأكيدا منه في حق النساء ، و يكون في حق الرجال الندب و في حق النساء الإباحة . و في كل ما قيل بشأن النساء ، أجمع الفقهاء و الأئمة المجتهدون علي أن الختان مستحب للأنثي وليس بواجب ، اللهم إلا في رواية الإمام أحمد بن حنبل أنه يجب علي النساء و الرجال علي السواء[3].

---

(١) لمزيد من التفصيلات في آراء العلماء ، أنظر: الكاندهلوي،ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) قيل فيه : إسناد ضعيف . أنظر: البيهقي ، ص ٣٢٥ ، القرطبي ، ج ٢ ص ٩٩ ، ابن قيم الجوزية،تحفة المودود، ص ١٣٧ - ١٣٨ ، الغزالي (الإمام أبو حامد) ، إحياء علوم الدين ، مج ١ ، ج ٢ ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ص ٦١ ، علاء الدين (محمد) حاشية قرة عيون الأخيار تكملة رد المختار علي الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ، ج ٧ ، ط ٢ ، دار الفكر - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م ، ص ١١٥ .

(٣) علوان ، ص ١٠٦ .

وفـي الدر المختار : الختان سُـنَّة كما جـاء فـي الخبر ، و هو مـن شعائر الإسـلام ، فلو إجتمع أهـل البلدة علـي تركه حاربهم الإمام فلا يترك إلا لعـذر ، و ختان المـرأة ليـس بسُـنَّة ، بل مكرمـة للرجال ، و قيل سُنَّة[(١)]. وقال القاضي عياض : الإختتان عند مالك و عامة العلماء سُنَّة ، ولكن السُـنَّة عندهم يأثم بتركها ، فهم يطلقونها علي مرتبة بين الفرض و بين الندب ، وإلا فقد صرح مالك بأنه لا تقبل شهادة الأقلف ولا تجوز إمامته[(٢)].

و قـد أمدتنا أخبـار الحديث بما يفيـد أن الختان سُنَّة واجبـة فـلا حج للأقلـف ، ولا صـلاة للأقلـف ولا شهـادة للأقلـف ، بل قيـل أن الرجـل إذا أسـلم ، لا يعتبر إسـلامه تاما إلا بالختـان[(٣)]. و قيـل أن مـن ولـد مختـونا إسـتحب إمرارالموسي علـي الموضع إمتثالا للأمر[(٤)].

و فـي حديث عن أم الأسـود أنها قالـت سمعت منية بنت عبيد بـن أبي برزة تحـدث عن جـدها أبي برزة عن النبي صلي الله عليه و سلم فـي الأقلـف يحج بيـت اللـه فقال لا حتي يختتن[(٥)]. و قيل في هـذا الحديـث

---

(١) الكاندهلوي، ص ٢٣٩، وانظر : ابنقيم الجوزية، تحفة المودود، ص ١٥١ – ١٥٢ .

(٢) إبن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .

(٣) قارن האנצ״ק׳ העברית, עמ׳ 194 – حيث ورد أنه يُعفي من الختان ، البالغون الذين يدخلون الإسلام في سن البلوغ حيث يكون الختان إكثر إيلاما للشخص أو يشكل خطرا عليه . – وانظر : ابن قيم الجوزية، تحفة المودود ، ص ١٥٤ – ١٥٥ .

(٤) الكاندهلوي ، ص ٢٣٧ .

(٥) في رواية أخري: سمعت منية قالت سمعت أبابرزة قال سألنا رسول الله صلي الله عليه و سلم عن رجل أقلف يحج بيت الله قال لا حتي يختتن – البيهقي ص ٣٢٤ .

أنه لا يثبت لأن إسناده مجهول [١].

وجاء في الأخبار عن ابن عباس أنه كره ذبيحة الأرغل قال: لاتقبل صلاته ولا تجوز شهادته [٢]. و قال غير واحد من السلف : من صلي و حج واختتن فهو حنيف ، فالحج و الختان : شعار الحنيفية وهي "فطرة الله التي فطر الناس عليها" [٣].

و عن ابن عباس قال: لا تقبل صلاة رجل لم يختتن . و هذا يدل علي أنه كان يوجبه ، و أن قوله الختان سُنَّة ، أراد به سُنَّة النبي صلي الله عليه و سلم الموجبة [٤]. و قد علل الذين قالوا بوجوب الختان من الفقهاء : "أن الأقلف معرض لفسادطهارته وصلاته فإن القلفة تستر الذكر كله ، فيصيبها البول ، ولا يمكن الإستجمار لها ، فصحة الطهارة و الصلاة موقوفة علي الختان و لهذا منع كثير من السلف و الخلف إمامته أما صلاته مع نفسه فيعد معذورا كمن معه سلس بول" [٥].

و تقول الأخبار أيضا عن حمزة الجزري عن عبد الكريم عن إبراهيم عن علقمة أن عليا رضي الله عنه كان لا يجيز شهادة الأقلف [٦].

(١) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٢٩،وانظر: القرطبي، ج٢ ،ص ١٠١ .
(٢) البيهقي،ص ٣٢٥،وانظر : ابن قيم الجوزية،تحفة المودود،ص ١٢٩،١٥٤،علاء الدين ص ١٥١ .
(٣) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٢٧ .
(٤) البيهقي،ص ٣٢٥ ، ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .
(٥) أنظر : علوان ،ص ١٠٤ ، ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٣١ .
(٦) قيل فيه : لا يجوز الإحتجاج بخبره .ـ البيهقي ، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ .

و من الواضح أن هناك من يشدد علي وجوب الختان ، باعتباره من أظهر الشعائر التي يفرق بها بين المسلم و النصراني ، حتي رأينا من المسلمين من لا يكادون يعدون الأقلف منهم . و لهذا ذهب طائفة من الفقهاء إلي أن الكبير يجب عليه أن يختتن ، ولو أدي إلي تلفه[1]. و الختان فرض في نظر البعض ، حيث أن إجراءه يقتضي كشف العورة ، و ستر العورة فرض ، و لولا أن الختان فرض ما أُهتك لإقامة سُنّة[2].

حكمة الختان و فوائده :

الختان من الشرائع التي شرعها الله سبحانه و تعالي لعباده، علي الرغم أنه لم يرد في القرآن الكريم ما يشير إليه صراحة . فهو مكمل للفطرة التي فطرهم الله عليها ، ولهذا كان من تمام الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام . فأصل مشروعية الختان لتكميل الحنيفية[3]. و الله سبحانه و تعالي عندما عَاهد إبراهيم ، وعده أن يجعله إماما للناس ، و أخبره أنه جاعل بينه و بين نسله علامة العهد أن يختتنوا كل مولود منهم ، و يكون هذا العهد ميسمًا في أجسادهم ، فأضحي الختان علامة للدخول في ملة إبراهيم . و هذا يتفق مع تأويل قوله تعالي:((صبغة الله و من أحسن من الله صبغة))[4].

(١) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٢) ابن العربي ، ص ٢١٧ .

(٣) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٥ ، ابن العربي ، ص ٢١٧ .

(٤) سورة البقرة : ١٣٨ .

فالختان هو صبغة الله لمن اتبع ملة إبراهيم ، و هو للحنفاء بمنزلة الصبغ و التعميد للمسيحيين ، الذين يزعمون أنهم يطهرون أولادهم حين يصبغونهم في ماء المعمودية [١].

و المقصود أن صبغة الله هي الحنيفية التي صبغت القلوب بمعرفته و محبته و الإخلاص له و عبادته وحده لا شريك له ، و صبغة الأبدان بخصال الفطرة من الختان و الإستحداد و قص الشارب و تقليم الأظفار و نتف الإبط و المضمضة و الإستنشاق و السواك و الإستنجاء ، فظهرت فطرة الله علي قلوب الحنفاء و أبدانهم [٢].

و قال ابن عباس ، أن النصاري كانوا إذا ولد لهم ولد فأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم يقال له ماء المعمودية ،فيصبغوه بذلك ليطهروا به مكان الختان ، لأن الختان تطهير ، فإذا فعلوا ذلك قالوا: « الآن صار نصرانيا حقا ، فرد الله تعالي ذلك عليهم بأن قال ((صبغة الله)) أي صبغة الله أحسن صبغة و هي الإسلام ، فسُمي الدين صبغة إستعارة و مجازا من حيث تظهر أعماله و سمته علي المتدين ، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب [٣].

و قال محمد بن جرير [٤] قوله تعالي : ((صبغة الله)) يعني بالصبغة صبغة الإسلام ، و ذلك أن النصاري إذا أرادت أن تنصر أطفالها جعلتهم في

(١) القرطبي ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .
(٢) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٦ .
(٣) القرطبي ، ج ٢ ص ١٤٤ .
(٤) أنظر : ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٧ .

مبالهم ، و تزعم أن ذلك مما يقدس بمنزلة الختان لأهل الإسلام و أنه صبغة لهم في النصرانية ، فقال الله جل ثناؤه لنبيه صلي الله عليه و سلم لما قال اليهود و النصاري : ((كونوا هودا أو نصاري تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا و ما كان من المشركين)) ، إلي قوله : ((صبغة الله و من أحسن من الله صبغة)) (١).

قال قتادة : أن اليهود تصبغ أبناءها يهودا ، و النصاري تصبغ أبناءها نصاري ، و أن صبغة الله : الإسلام فلا صبغة أحسن من الإسلام ولا أطهر (٢).

و قيل : أن الصبغة تعني الختان ، أختتن إبراهيم عليه السلام فجرت الصبغة علي الختان لصبغهم الغلمان في الماء (٣).

و قال مجاهد ، صبغة الله : فطرة الله ، و قال غيره : دين الله ، هذا مع ما في الختان من الطهارة و النظافة و التزيين و تحسين الخلقة و تعديل الشهوة التي إذا أفرطت ألحقت الإنسان بالحيوانات ، و إن عدمت بالكلية ألحقته بالجمادات . فالختان يعدلها و لهذا تجد الأقلف من الرجال و القلفاء من النساء لا يشبع من الجماع (٤).

---

(١) سورة البقرة : ١٣٥ ـ ١٣٨ .

(٢) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٧ .

(٣) القرطبي ، ج ٢ ص ١٤٥ .

(٤) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٥ ـ ١٤٧ .

و بناء علي ما تقدم نجد أن للختان حكمة دينية ، إلي جانب فوائده الطبية و الصحية ، و قد أشار إلي ذلك كله الفقهاء و العلماء و الأطباء .

أولا : الحكمة الدينية :

١ - الختان رأس الفطرة ، و شعار الإسلام ، علي الرغم من وجود شعوب أخري غير إسلامية تمارسه .

٢ - الختان من تمام الحنيفية التي شرعها الله سبحانه و تعالي علي لسان إبراهيم عليه السلام ، فهي التي صبغت القلوب علي التوحيد و الإيمان و هي التي صبغت الأبدان بخصال الفطرة التي منها الختان . قال تعالي : ((ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا))[(١)]، ((صبغة الله و من أحسن من الله صبغة و نحن له عابدون))[(٢)].

٣ - يعتبر الختان بمثابة إقرار بالعبودية لله سبحانه و تعالي ، وامتثال لأوامره .

ثانيا : الفوائد الطبية و الصحية و الأخلاقية :

١ - الختان يجلب النظافة ، و يحقق التزيين، و يحسن الخلقة ، و يعدل الشهوة.

٢ - الختان إجراء صحي يقي صاحبه من أمراض كثيرة[(٣)].

(١) سورة النحل : ١٢٣ .

(٢) سورة البقرة : ١٣٨ .

(٣) أنظر : علوان ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

أ - بقطع القلفة يتخلص المرء من الإفرازات الدهنية ، و يتخلص من السيلان الشحمي المفرز للنفس ، مما يحول دون التفسخ و الإنتان .

ب - بقطع القلفة يتخلص المرء من خطر إنحباس الحشفة أثناء التمدد.

ج - يقلل الختان من إحتمالات إصابة عضو الذكورة بالسرطان ، فقد ثبت أن هذا المرض يكثر بين الشعوب التي لا تختتن ، بينما يندر وجوده إلي حد ما بين الشعوب التي توجب عليهم شرائعهم الختان .

د - ختان الطفل في وقت مبكر يقيه من الإصابة بسلس البول الليلي.

هـ - يخفف الختان من كثرة ممارسة العادة السرية لدي البالغين .

عملية إجراء الختان - الموضع و حدود القطع :

تناول العلماء [١] بعض الجوانب المتعلقة بكيفية إجراء عملية الختان ، خاصة فيما يتعلق بالموضع الذي يقع عليه القطع ، فحددوه، فقالوا أن الواجب في ختان الذكر ، أن تقطع القلفة ، و هي الجلدة التي تغطي الحشفة ، فتستوعب من أصلها عند أول الحشفة ، حتي تنكشف جميعها . و في الدر المختار : لو ختن ولم يقطع الجلدة كلها ينظر، فإن قطع أكثر من النصف كان ختانا ، و إن قطع النصف فما دونه لا يكون ختانا يعتد به لعدم الختان حقيقة [٢].

---

(١) أنظر في ذلك : النووي ، ص ١٤٨ ، العسقلاني ، ص ٢٠٤ ، الكاندهلوي ، ص ٢٣٧ ، ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) الكاندهلوي ، ص ٢٣٧ .

أما خفاض الأنثي فيجب أن يتم بقطع أدني جزء من الجلدة التي في أعلي فرجها ، و هي تشبه النواة أو عرف الديك ، و موضعها فوق مدخل الذكر . و الواجب في خفاض الأنثي قطع طرف هذه الجلدة (البظر) دون إستئصالها ، أي ينبغي ألا يبالغ في خفض الأنثي، فيروي عن عمر أنه قال للخاتنة : إبقي منه شيئا إذا خفضت [١]. و ورد في الحديث الشريف أن رسول الله (صلي الله عليه و سلم) أوصي بعدم المبالغة في الخفض . فأخرج أبو داود من حديث أم عطية الأنصارية أن إمرأة كانت تختن بالمدينة فقال لها النبي صلي الله عليه و سلم " لا تُنْهكي فإن ذلك أَحْظَي للمرأة و أَحبُّ إلي البعل " ، و يقول أبو داود أنه حديث ضعيف [٢].

و ورد في رواية أخري [٣] عن النبي صلي الله عليه وسلم " إذا خفضت فاشمي ولا تنهكي فإنه أسري للوجه و أحظي عند الزوج ".

---

(١) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٩ ، ١٥٢ .

(٢) أبو داود ، سنن أبي داود ، ج ٤ ، دار الفكر ، رقم ٥٢٧١ ، ص ٣٦٨-٣٦٩، البيهقي ، ٣٢٤ ، القرطبي ، ج ٢ ، ص ١٠٠ .

(٣) ورد في أكثر من رواية ، منها أنه " كان بالمدينة إمرأة يقال لها أم عطية تخفض الجواري فقال لها رسول الله صلي الله عليه و سلم : يا أم عطية إخفضي ولا تنهكي فإنه أسري للوجه و أحظي عند الزوج " . أنظر : البيهقي ص ٣٢٤ ، ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٨ ، الغزالي ، مج١، ج٢، ص ٦١ - ٦٢ ، القرطبي ، ج٢ ، ص ١٠٠ .

و في هذا الحديث يُشَبَّه القطع اليسير بإشمام الرائحة و الإشمام هو أن يكون بين بين[1]، و النهك هو المبالغة في العمل . و كأن النبي صلي الله عليه و سلم أراد أن يُنقص من شهوتها بقدر ما يردها إلي الإعتدال ، فإن شهوتها إذا قلّت ذهب التمتع ، و نقص حب الأزواج، و حب الزوج قيد دون الفجور[2]. فالخافضة إذا ما بالغت في الإستئصال قلت حظوة المرأة عند زوجها ، كما أنها إذا تركت الجلدة بحالها فلم تأخذ منها شيئا ، بقيت غلمتها ، و قد لا تكتفي بجماع حليلها فتقع في الزنا[3].

و واضح من حديث أم عطية الذي تقدم ، أن الختانة كانت صناعة الخاتنة أو الخافضة ، التي تقوم بخفض الإناث ، كما هناك رجال يختنون الغلمان . و تشير بعض الآراء إلي إستطاعة الرجل أن يقوم بختن نفسه بيده إذا قوي علي ذلك ، كما يمكن للمرأة أن تخفض نفسها إن قويت علي ذلك[4]. و لكنا لا نظن أبدا أن هذا الأمر بالشئ اليسير ، و لم نسمع عن حدوثه في زمننا هذا .

و يبدو أن عمليات الختان لم تكن خالية من المشاكل عند إجرائها ، فقد يصاب الشخص الذي تُجري له العملية بأمراض

---

(١) و قيل في معني "اشمي" ، أي اتركي الموضع أشم ، و الأشم : المرتفع .
(ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٠٥) .

(٢) علي (جواد) ، ج ٤ ، ص ٦٣٨ ، الجاحظ ، ص ٢٨ .

(٣) الكاندهلوي ، ص ٢٣٨ .

(٤) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٢٥ .

و مضاعفات نتيجة لعدم كفاءة القائمين بالعملية و قلة خبرتهم أو مهارتهم . فينقل لنا الجاحظ[1] عن بعض أطباء النصاري زعمهم "أنهم لم يروا قط يهوديا أصابه مكروه من قِبَل الختان ، و أنهم قد رأوا من أولاد المسلمين و النصاري ما لا يُحصي ممّن لقي المكروه في ختانه إذا كان ذلك في الصميمين من ريح الحمرة ، و من قطع طرف الكمرة ، و من أن تكون الموسي حديثة العهد بالإحداد و سَقْي الماء، فتشيط (عند) ذلك الكمرة و يعتريها بَرَص".

ختان الخنثي و من له ذكران :

تعرض المفسرون و الفقهاء لبعض القضايا المتعلقة بإجراء عملية الختان ، و التي يحتمل أن تفرض نفسها علي أسرة من الأسر رغم ندرة وجودها في المجتمع . فكيف تتصرف الأسرة في ختان الخنثي ؟ و ماذا تصنع فيمن له ذكران ؟

و قد إختلفت آراء العلماء أيضا في هاتين المسألتين . فقيل في الخنثي المشكل أنه يجب ختانه في فرجيه بعد البلوغ ، و في رأي آخر أنه لا يجوز ختانه حتي يتبين ، و هو الأظهر[2]. و أما من له ذكران فإن كانا عاملين وجب ختانهما ، و إن كان أحدهما عاملا دون الآخر ، خُتن العامل ، و فيما يعتبر العمل به وجهان : أحدهما

---

(١) الحيوان ، ج ٧ ، ص ٢٦ .
(٢) النووي ص ١٤٨ .

و قيل في كيفية معرفة الخنثي المشكل ما إذا كان ذكرا أو أنثي، إنه إن بال من الذكر كان غلاما ، و إن بال من الفرج كان أنثي ، وإن بال -

بالبـول ، و الآخـر بالجمـاع (١).

و فـي فقـه ملهـب أبي حنيفـة ، أن الخنثي المشـكل ، إذا بلـغ حـد الشـهوة ، تبتاع لـه أمة تختنـه من مـالـه ، لتكـون أمتـه أو مثلـه، و يكـره أن يختنه رجـل أو إمرأة ، إحتياطا ولا ضـرورة ، لأن الختـان فـي هـذا الملهـب سُـنّة ، وإن لم يكـن له مال فمـن بيـت المال ، ثـم تبـاع . أو يـزوج إمرأة خاتنة لتختنـه ، لأنه إن كان ذكـرا صح النكـاح و إن أنثي فنظـر الجنس أخف ، ثم يطلقهـا ، و تعتـد ان خـلا بهـا إحتياطا (٢).

- منهما فالحكم للأسبق ، و إن استويا صارت مشكلة ، و هذا قبل البلوغ . أما إذا بلغ و خرجت لحيته ، أو وصل إلي إمرأة ، أو إحتلم كما يحتلم الرجـل كان رجلا ، وإن ظهر له ثدي أو لبن أو حاض أو حبل أو أمكن وطؤه ، كـان إمرأة . وإن لم تظهر علامة أصلا أو تعارضت العلامات ، تصير مشكلة لصعوبـة الترجيـح . و قيل أنه يمكن عـد أضلاعـه ، فإن ضلع الرجـل يزيد علـي ضلع المـرأة بواحـد .
انظر : ابن عابدين (محمد أمين) ، حاشية رد المحتار لخاتمة المحققين محمد أمين الشهير بابن عابدين ، علي الدر المختار ، شرح تنوير الأبصـار فـي فقـه مـلهب الإمام أبي حنيفـة النعمـان ، و يليه تكملـة ابن عابديـن لنجـل المؤلـف ، ج ٦ ، ط ٢ ، دار الفكـر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م ، ص ٧٢٧ - ٧٢٨ .

(١) أنظر : النـووي ، ص ١٤٨ .
(٢) ابن عابدين ، ص ٧٢٨ - ٧٢٩ .

موعد إجراء عملية الختان :

إهتم العلماء و فقهاء الإسلام بالموعد الذي يجب فيه إجراء عملية الختان للطفل ، و أخذ بعضهم بعين الإعتبار الموعد الذي حدده اليهود لختان أطفالهم ، فتعمدوا مخالفتهم فيه ، و حددوا الموعد المناسب لختان أبناء المسلمين وفقا لذلك . و بني بعض العلماء رأيه علي سهولة إجراء الختان في سن معينة ، أو علي درجة إيلام الطفل ، أو ما ينتظر وقوعه من أذي و ضرر علي الطفل في سن معينة ، كما راعي بعضهم حالة الطفل الصحية في وقت ختانه . و لم يغفل غالبية العلماء ما نُسب إلي الرسول صلي الله عليه و سلم في هذا الشأن ، سواء بالقول أو العمل ، فحاولوا الإهتداء بالسنة عند تفكيرهم في موعد الختان .

علي أية حال ، فقد إختلف العلماء و المفسرون في وقته ، فقال النووي[1]: "الصحيح من مذهبنا الذي عليه جمهور أصحابنا أن الختان جائز في حال الصغر ، ليس بواجب ، و لنا وجه ، أنه يجب علي الولي أن يختن الصغير قبل بلوغه ، و وجه أن يحرم ختانه قبل عشر سنين ، و إذا قلنا بالصحيح إستحب أن يختن في اليوم السابع من ولادته ، وهل يحسب يوم الولادة من السبع أم تكون سبعةسواه، فيه وجهان أظهرهما يحسب .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، ص ١٤٨ .

و قال الحافظ في الفتح[١]: "إختلف في الوقت الذي يشرع فيه الختان ، قال الماوردي له وقتان ، وقت وجوب و وقت إستحباب فوقت الوجوب البلوغ ، و وقت الإستحباب قبله ، و الإختيار يوم السابع من بعد الولادة ، و قيل من يوم الولادة ، فإن أخّر ففي الأربعين يوما ، فإن أخّر ففي السنة السابعة ، فإن بلغ و كان نضنوا نحيفا يعلم من حاله أنه إذا إختتن تلف ، سقط الوجوب ، و يستحب أن لا يؤخر عن وقت الإستحباب إلا لعذر".

و لما كان أمر النبي (عليه الصلاة و السلام) للآباء أن يأمروا أولادهم بالصلاة لسبع ، و أن يضربوهم علي تركها لعشر[٢]، ربط بعض العلماء بين موعد إجراء الختان و بين موعد ضرب الطفل علي ترك الصلاة . فيقول القاضي حسين[٣] أنه لا يجوز أن يختتن حتي يصير ابن عشر سنين لأنه يوم ضربه علي ترك الصلاة ، و ألم الختان فوق ألم الضرب ، فيكون أولي بالتأخير .

و قيل أنه ينبغي المبادرة بإجراء الختان عند بلوغ السن الذي يؤمر فيه الصبي بالصلاة[٤].

---

(١) الكاندهلوي ، ص ٢٤٠ .

(٢) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٣ .

(٣) الكاندهلوي ، ص ٢٤٠ .

(٤) القسطلاني ، ص ١٦٩ .

و قد ذهب الفقهاء إلي كراهة إجراء عملية الختان في اليوم السابع لولادة الطفل ، و سبب ذلك حسب رأيهم : أنه من عمل اليهود[١] . و لكن المعروف أن التشريع اليهودي قد حدد موعد الختان باليوم الثامن لولادة الطفل ، و نجد ذلك واضحا في نصوص العهد القديم[٢] و التلمود و أقوال فقهاء اليهود ، و قد ذكرنا هذا من قبل ، عند تناولنا لموعد إجراء الختان عند اليهود[٣]. بالإضافة إلي ذلك فإن بعض فقهاء الإسلام يستند إلي أن "إبراهيم عليه السلام ختن إسحق و هو ابن سبعة أيام[٤]" ، و لكننا نجد في سفر التكوين ٢١ : ٤ ما يخالف ذلك ، حيث ورد : "و ختن إبراهيمُ إسحقَ إبنه و هو ابن ثمانية أيام كما أمره الله". و المعروف في الوقت الحاضر، أن اليهود يختنون أطفالهم في اليوم الثامن لولادتهم ، ولا يمارسون ختانا في اليوم السابع[٥].

(١) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) أنظر علي سبيل المثال ، تك ١٧:١٢ ، ٢١ : ٤ ، لاو ١٢ : ٣ .

(٣) راجع ص (٤) و ما بعدها .

(٤) أنظر : الكاندهلوي ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٥) عندما ذهب بعض علماء المسلمين إلي القول بكراهة الختان يوم السابع لأنه فعل اليهود ، لم يحددوا ما إذا كان يوم السابع من بعد الولادة ، أم من يوم الولادة ، فقد قيل التعبيران ، و قيل أيضا : في اليوم السابع لولادة الطفل . فهل قصد بذلك أن يحسب يوم الولادة من السبع أم تكون سبعة سواه ؟ و من هنا جاء الإختلاف بين ما ذهبوا إليه و بين ما هو معروف عند اليهود بخصوص إجراء الختان في اليوم الثامن لولادة الطفل .

و في التمهيد[1]، تواتر عن جمع من العلماء أن إبراهيم عليه السلام ختن إسماعيل لثلاث عشرة سنة ، و إسحق لسبعة أيام ، و كره جماعة الختان يوم السابع ، قال ابن وهب : قلت لمالك أتري أن تختن الصبي يوم السابع ، فقال:لا أري ذلك ، انما ذلك من عمل اليهود ، و لم يكن من عمل الناس إلا حديثا ، قلت : فما حد ختانه، قال : إذا أدب علي الصلاة ، قلت : عشر سنين أو أدني من ذلك قال : نعم .

و نقل ابن المنذر عن الحسن و مالك كراهة الختان يوم السابع ، لأنه فعل اليهود[2]. و روي أن وهب بن منبه قد سئل عن ذلك ، فقال : إنما يستحب ذلك في اليوم السابع لخفته علي الصبيان فإن المولود يولد و هو خدر الجسد كله لا يجد ألم ما أصابه سبعا، و إذا لم يختتن لذلك فدعوه حتي يقوي[3].

و قال مالك : يحسن إذا أثغر ، أي ألقي ثغره ، و هو مقدم أسنانه ، و ذلك يكون في السبع سنين و ما حولها . و عن الليث ابن سعد : يستحب ما بين سبع سنين إلي عشر سنين[4]. و قيل أن من السُنة في الختان التأخير إلي الزيادة علي عشرة أعوام ، ولايستعجل به إلا اليهود[5]

(١) أنظر : الكاندهلوي ، ص ٢٤١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .
(٣) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٤ .
(٤) نقلا عن الكاندهلوي ، ص ٢٤٠ ، أنظر : ابن قيم الجوزية،تحفة المودود ص ١٤٤ ، القرطبي ، ج٣، ص ١٠١ .
(٥) ابن العربي ، ص ٢١٧ .

و ذهبت بعض الآراء إلي تفضيل إجراء الختان ما بين السنة السابعة و الثانية عشرة من عمر الصبي ، و ذلك لأن السنة السابعة هي أول وقت يستغني فيه الصبي عن الغير في الأكل و الشرب واللبس و الإستنجاء ، و هو وقت الإحتياج إلي التأديب و تهذيب الأخلاق فكان ذلك نهاية مدة الحضانة ، بل وقت كونه مأمورا بالصلاة ولو ندبا و من جملته الختان أيضا . و عندما يصبح ابن اثنتي عشرة سنة يكون قد دخل سن المراهقة ، و يحتمل بلوغه فيه ، و من ثم فإن كشف العورة حرام علي البالغين من غير محرم ، و لذلك فإن الختان لا يجب أن يتعدي السنة الثانية عشرة من عمر الصبي (١).

و قال الغزالي (٢): أما التطهير بالختان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ، و مخالفتهم بالتأخير إلي أن يثغر الولد أحب و أبعد عن الخطر . و قال الزبيدي في ذلك أنه أشار به إلي وقته و هو البلوغ أو بعده (٣)، لما روي البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه سئل : مثل مَنْ أنت حين قبض رسول الله صلي الله عليه و سلم، قال : أنا يومئذ مختون ، و كانوا لا يختنون الرجل حتي يدرك (٤). و الصحيح أن ابن عباس ولد بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين ، و أقام الرسول صلي الله عليه و سلم بالمدينة عشرا ، و قد أخبر ابن عباس أنه

(١) علاء الدين ، ص ٢١٧ .
(٢) إحياء علوم الدين ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٦١ .
(٣) نقلا عن : الكاندهلوي ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .
(٤) القسطلاني ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ؛ الكاندهلوي ، ص ٢٤١ ؛ القرطبي ، ج ٢ ، ص ١٠١ .

كان يومئذ مختونا ، فيكون له عند الوفاة النبوية ثلاث عشرة سنة ، أي أنه عندما أدرك خُتن ، و كان ذلك قبل الوفاة النبوية و بعد حجة الوداع [١]. و يجب إجراء الختان بعد البلوغ ،ويندب قبله [٢]. و قالوا : اذا بلغ الصبي أقلف أو المرأة غير مختونة ولا عذر لهما ألزمهما السلطان به ، و قيل : أنه يجب علي الولي أن يختن الصبي قبل البلوغ بحيث يبلغ مختونا فإن ذلك مما لا يتم الواجب إلا به [٣].

و رغم آراء كثير من العلماء التي ذهبت إلي عدم إستحباب الختان في اليوم السابع لولادة الطفل ، نجد أن هناك من السلف من ختن في اليوم السابع . و قام البعض بإجراء الختان في هذا اليوم ، إتباعا لما وصلهم من السُنّة ، ولو أن بعضها كان ضعيفا في سنده.

ورد عن ابن عباس قال : سَبْعة من السُنّة في الصبي ، يوم السابع يُسمَي ، و يختن ، و يماط عنه الأذي ، و تثقب أذنه ، و يعق عنه ، و يحلق رأسه ، و يلطخ من عقيقته ، و يتصدق بوزن شعر رأسه ذهب أو فضة . و قيل في سنده ضعيف [٤].

و روي عن أبي جعفر أن فاطمة عليها السلام كانت تختن ولدها يوم السابع [٥]. و أنكر ذلك مالك ، و قال : ذلك من عمل اليهود [٥].

---

(١) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٢ .
(٢) القسطلاني ، ص ١٧٠ .
(٣) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٣ .
(٤) الكاندهلوي ، ص ٢٤٠ .
(٥) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٤ .
(٦) القرطبي ، ج ٢ ، ص ١٠١ .

و أخرج أبو الشيخ من طريق الوليد بن مسلم بسنده عن جابر أن النبي صلي الله عليه و سلم ختن حسنا و حسينا لسبعة أيام [١]. قال الوليد فسألت مالكا عنه ، فقال : لا أدري ، و لكن الختان طهرة فكلما قدمها كان أحب إليّ . و أخرج البيهقي حديث جابر ، و أخرج أيضا من طريق موسي بن علي عن أبيه أن إبراهيم عليه السلام ختن إسحق و هو ابن سبعة أيام [٢]. و في سنن البيهقي عن حديث موسي بن علي بن رباح عن أبيه أن إبراهيم ختن إسحق وهو ابن سبعة أيام ، و خِتن إسماعيل عند بلوغه ، فصار ختان إسحق سنة في بنيه ، و ختان إسماعيل سنة في بنيه [٣].

و خلاصة القول ، أننا لا نجد ما يفرض علي المسلمين إجراء الختان في وقت محدد من حياة الفرد ، علي خلاف ما هو موجود في اليهودية ، حيث أن التشريع اليهودي قد حدد ذلك و أمر بتنفيذه بكل دقة . و لا يجد المسلمون في السُنّة أمرا بتنفيذ الختان في الصغر أو الكبر ، و لكن مايمكننا إستخلاصه هو تفضيل إجراء الختان قبل سن البلوغ ، و كلما حدث مبكرا كان أصوب ، و فيه مصلحة للطفل .

و قال ابن المنذر : ليس في باب الختان خبر حتي يرجع إليه و لا سنة تتبع و الأشياء علي الإباحة [٤].

---

(١) انظر : الكاندهلوي ، ص ٢٤٠ ؛ ـ و في رواية عن جابر قال عق رسول الله صلي الله عليه و سلم عن الحسن و الحسين و ختنهما لسبعة أيام ـ انظر : البيهقي ، ص ٣٢٤ ؛ ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٤٥ .
(٢) انظر : الكاندهلوي ، ص ٢٤٠ .
(٣) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود ، ص ١٤٥ ؛ وقارن تك ١٧: ٢٥؛ ٢١: ٤ .
(٤) نقلا عن : الكاندهلوي، ص ٢٤٠؛ ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

و قال أبو الفرج السرخسي : في ختان الصغير مصلحة من جهة أن الجلد بعد التمييز يغلظ و يخشن ، فمن ثم جوز الأئمة الختان قبل ذلك [١]. أي أن الختان في الصغر يكون أقل إيلاما للطفل ، ولا يحدث أضرارا أو أذي له [٢]. و لذلك فإن كثيرا من المسلمين في وقتنا الحاضر يحرصون غالبا علي ختان أطفالهم في شهورهم الأولي بل ربما في الشهر الأول لولادتهم .

فختان الطفل في وقت مبكر أفضل في حق الولي ، حتي إذا ما عقل الصبي ، و تفهم الأمور ، و أصبح في مرحلة التمييز ، وجد نفسه مختونا ، فلا يحسب له في مستقبله حسابا ، ولا يتحمل همه ، فيهنأ قلبه و يطمئن عندما يعقل و يدرك ، و يجد نفسه و قد مر علي مرحلة الإختتان [٣].

الإعفاء من واجب الختان :

يسقط عن المسلم واجب الختان في حالات محددة ، أهمها :

١ - إذا وُلد الطفل مختونا ، لا قلفة له ، يكون في غني عن الختان ، حيث لم يخلق له ما يجب ختانه ، و هذا باتفاق جمهور العلماء . لكن ذهب بعض المتأخرين إلي أنه يستحب إمرار الموسي علي موضع الختان ، لأن هذا هو القدر الذي يمكن تنفيذه من واجب أمر به [٤].

---

(١) نقلا عن:الكاندهلوي ، ص ٢٤٠ .

(٢) نقل لنا الجاحظ ما يخالف هذا الإتجاه ، عندما ذكر ما يصيب الأطفال عند ختانهم في الصغر من أخطار و أضرار ، فقال:« ... و الصبي ابن ثمانية أيام أعسر ختانا من الغلام الذي قد شب و شدن و قوي ... » - انظر : الحيوان ، ج ٧ ، ص ٢٦ .

(٣) علوان ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤) الكاندهلوي ، ٢٣٧؛ابن قيم الجوزية،تحفة المودود،ص ١٥٥ .

و هم في ذلك يستندون إلي قول النبي صلي الله عليه و سلم : إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم". فالواجب يتمثل في أمرين ، هما مباشرة الحديد و القطع ، فإذا سقط القطع ، فلا أقل من استحباب مباشرة الحديد ، و الصواب أن هذا مكروه ، لأنه عبث لا فائدة منه .

و كانت العرب تزعم أنه إذا وُلد في القمر تقلصت قلفته و تجمعت ، و مع هذا ، ربما يكون زوال القلفة غير تام ، و تكاد تظهر رأس الحشفة ، بحيث يبين مخرج البول ، و لهذا لابد من ختانه لتظهر الحشفة جميعها ، و أما الذي يسقط ختانه هو الذي تكون فيه كل الحشفة ظاهرا [١].

قال الميموني قال لي أحمد : أن هاهنا رجلا ولد له ولد مختون ،فاغتم لذلك غما شديدا ، فقلت له : إذا كان الله قد كفاك المؤنة فما غمك بهذا! [٢].

٢ ـ إذا وُلد الطفل ضعيفا ، لا يقوي علي احتمال آلام الختان ، و يُخشي عليه من التلف .

٣ ـ إذا أسلم رجل مسن ، يسقط عنه الختان إذا خشي علي نفسه من الألم و التلف ؛ و هذا عند جمهور الفقهاء [٣]. و رُوي عن الحسن أنه كان يرخص للشيخ الذي يُسلم ألا يختتن ، ولا يري به بأسا

---

(١) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٥٦ .

(٢) القرطبي ، ج ٢ ، ص ١٠٠ .

(٣) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٥٧ .

ولا بشهادتـه و ذبيحته و حَجّـه و صـلاته . و لكن بعض العلماء إستحـب في الرجل الكبيـر يُسـلم أن يختتن ، و كان عطـاء يقول : لا يتم إسلامه حتي يختتن وإن بلـغ ثمانيـن سـنة (١).

٤ ـ الموت ، فـلا يجب ختـان الميت . واتفـق جمهـور العلماء علـي انه لا يسـتحب ، و هـو قول الأئمـة الأربعة . و ذكر بعض العلمـاء المتـأخـرين أنه مستحب . و لكن يـري جمهـور العلمـاء أن المعنـي الذي لأجلـه شـرع فـي الحياة ، قـد زال بالموت ، فـلا مصلحـة فـي ختانـه ، و قـد أخبر النبي عليـه الصـلاة و السـلام : أنه يبعث يـوم القيامـة بغرلته غير مختـون ، فما الفائـدة أن يقطـع منه عنـد الموت عضـو يبعث بـه يـوم القيامـة ، و هو من تمام خلقة في النشأة الأخري (٢) .

و أشـار النـووي إلي اختلاف الفقهـاء في ذلك فقال : لو مات إنسان غير مختون،ففيـه ثلاثة أوجـه ، أشهرها و أصحهـا أنه لا يختن سواء كان صغيرا أو كبيرا ، و ثانيهما أن يختن الكبير دون الصغير (٣).

ختان الأنبياء و الرسل (عليهم السلام) في الفكر الإسلامي :

اتفقـت الأديان السماوية ـ اليهوديـة و المسيحيـة و الإسـلام ـ علـي أن إبراهيم عليه السلام قد أُختتن . فاليهودية تعتبر الختان بمثابة علامـة من علامات حلف الدم بين يهـوه و بني إسرائيل ، و أنه الأمر الأول الذي أُعطي لإبراهيم و لنسـله من بعـده . و قد أُختتن عيسي عليه السلام فـي

(١) القرطبي ، ج ٢ ، ص ١٠١ .

(٢) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٥٧ .

(٣) النـووي ، ص ١٤٨ .

اليوم الثامن لولادته ، واتبعت المسيحية في فترتها الأولى سُنّة إبراهيم و شريعة موسى (عليهما السلام) في الختان ، ثم تحولت منذ زمن بولس عن ختان الجسد ، إلى ختان القلب و الروح - أي المعمودية - لكنها على أية حال ، لم تنكر أن إبراهيم عليه السلام قد أختتن .

و في الإسلام ، يعطينا الحديث الشريف أكثر من رواية تشير إلى ختان إبراهيم عليه السلام ، و كيفيته و زمنه .

فقد رُوي عن ابن عباس قال : ابتلاه الله عز و جل بالطهارة خمس في الرأس و خمس في الجسد ، في الرأس قص الشارب و المضمضة و الإستنشاق و السواك و فرق الرأس ، و في الجسد تقليم الأظفار و حلق العانة و الختان و نتف الإبط و غسل مكان الغائط و البول بالماء (١).

و مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال: كان إبراهيم أول الناس ضَيّف الضيف ، و أول الناس اختتن ، و أول الناس قص شاربه ، و أول الناس رأى الشيب ، فقال : يارب ما هذا ؟ فقال الله تبارك و تعالى : ((وقار يا إبراهيم ، فقال : ربّ زدني وقارا)) (٢).

و رُوي في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اختتن إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم و هو ابن ثمانين سنة

---

(١) البيهقي ، ص ٣٢٥ ؛ وانظر : ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص١٢٦؛ القرطبي ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

(٢) انظر : الكاندهلوي ، ص ٢٤٤ ؛ القرطبي ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

بالقدوم (١).

و وردت كلمة "القدوم" في هذا الحديث ، بتشديد الدال في بعض الروايات ، و بتخفيفها في بعضها الآخر ، واختلفت الآراء في المراد بها ؛ هل هي إسم مكان ؟ أم هي اسم للآلة المستعملة في الختان؟ فقيل إذا كانت كلمة القدوم إسما لآلة تكون الدال بالتخفيف دائما، و إذا كانت اسما لمكان تكون بالتشديد ، و قيل أيضا أنها بالتشديد و التخفيف لإسم المكان. و لذلك تعددت التفسيرات ، فاعتبرها البعض أنها القدوم ، أي آلة النجار (الفأس) التي أختتن بها إبراهيم .واعتبرها آخرون أنها المكان الذي وقع فيه الختان ، و قيل أنها كانت مجلس إبراهيم ، و قيل أنها اسم لقرية كانت عند حلب ، و قيل بالتشديدوالتخفيف قرية بالشام و الأكثر علي أنه بالتخفيف . و ذهبت بعض الآراء إلي أنه يتفق لإبراهيم عليه السلام الأمران ، أي أنه أختتن بالآلة و في الموضع (٢). و الراجح أن المراد في الحديث المذكور هو الآلة ، فقد روي عن موسي بن علي قال سمعت أبي يقول أن إبراهيم خليل الرحمن أمر أن يختتن و هو ابن مائة سنة (٣)فعجل فاختتن بقدوم فاشتد عليه الوجع فدعا ربه فأوحي الله إليه أنك عجلت قبل أن نأمرك بالآلة، قال يارب كرهت أن اؤخر أمرك (٤).

---

(١) في رواية أخري ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اختتن إبراهيم بعد ثمانين سنة واختتن بالقدوم .- القسطلاني ، ص ١٦٩. و قيل أن لفظة القدوم مخففة في هذه الرواية .- انظر: ابن القيم الجوزية، تحفة المودود، ص ١٢١ . و ورد في سفر التكوين ١٧: ٢٤ و كان ابراهيم ابن تسع و تسعين سنة حين ختن في لحم غرلته .

(٢) راجع تفاصيل ذلك في: القسطلاني، ص ١٦٩؛ الكاندهلوي، ص ٢٤٥؛ القرطبي ج ٢ ، ص ٩٩ .

(٣) قارن ،حيث وردفي حديث أبي هريرة المذكورآنفا أنه أختتن وهو ابن ثمانين سنة ، و هنا يخالف أيضا ما ورد في سفر التكوين ١٧: ٢٤ .

(٤) انظر: البيهقي، ص ٣٢٦؛ اكاندهلوي، ص ٢٤٥؛ ابن قيم الجوزية، تحفة المودود، ص ١٢١.

و قد اختلفت الروايات في تحديد زمن ختان إبراهيم عليه السلام ، لكنا نستطيع القول أنها إتفقت في معظمها أنه أختتن و هو ابن ثمانين سنة [١].

لقد كان الختان من الخصال التي ابتلي الله سبحانه و تعالي بها إبراهيم خليله ، فأتمهن و أكملهن ، قال تعالي : ((و إذ ابتلي إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن)) (البقرة ١٢٤) . و قد رُوي - كما تقدم - أنه أول من أختتن ، و الذي في الصحيح : اختتن إبراهيم و هو ابن ثمانين سنة . واستمر الختان بعده في الرسل وأتباعهم حتي في المسيح ،فإنه أختتن ، و النصاري تقر بذلك ولا تنكره ، كما أوضحنا من قبل .

و في الدر المختار ، جمع السيوطي [٢] من ولد مختونا من الأنبياء و الرسل عليهم السلام ، فقال :

و في الرسل مختون بعمرك خلقه ... ثمان و تسع طيبون أكارم
وهم زكريا شيث أدريس يوسف ... و حنظلة عيسي و موسي وآدم
ونوح شعيب سام لوط و صالح ... سليمان يحيي هود ويس خاتم

و قال أبو الفرج الجوزي حدثت عن كعب الأحبار قال: خُلق من الأنبياء ثلاثة عشر مختونين : آدم و شيث و أدريس و نوح و سام و لوط

---

(١) راجع: القسطلاني ، ص ١٦٩ ؛ البيهقي ، ص ٣٢٦ ؛ الكاندهلوي ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ؛ القرطبي ، ج ٢ ، ص ٩٩ ؛ قارن : ابن العربي ،ص ٢١٧.
(٢) نقلا عن : الكاندهلوي ، ص ٢٤٣ .

و يوسف و موسي و شعيب و سليمان و يحيي و عيسي و النبي صلي الله عليه و سلم . و قال محمد بن حبيب الهاشمي : هم أربعة عشر : آدم و شيث ونوح و هود و صالح و لوط و شعيب و يوسف و موسي و سليمان و زكريا و عيسي و حنظلة بن صفوان (بني أصحاب الرّس [١]) و محمد صلي الله عليه و عليهم أجمعين [٢].

و نلاحظ فيما أوردناه هنا من أخبار الأنبياء و الرسل الذين ولدوا مختونين ، إشارة إلي أن آدم عليه السلام كان مختونابطبيعته و هذا يناقض ما ورد في إنجيل برنابا ، منسوبا إلي عيسي عليه السلام، حيث افاد بأن آدم قد ختن نفسه بنفسه [٣].

و نلاحظ كذلك أنه ورد في هذه الأخبار أيضا أن عيسي عليه السلام قد ولد مختونا [٤]، و هذا يخالف ما ورد في أسفار العهد الجديد التي

(١) في لسان العرب (ر س س) ، قيل أن أهل الرّسّ هم الذين يبتدئون الكذب و يوقعونه في أفواه الناس . و قال الزمخشري : هو من رسّ بين القوم ، أي أفسد . و الرّسّ : البئر القديمة أو المعدن ، و الجمع رساس و الرّسّ : بئر لثمود ، وفي الصحاح : بئر كانت لبقية من ثمود . و قوله عز و جل : ((و أصحاب الرّسّ)) ، قال الزجاج : يروي أن الرّسّ ديار لطائفة من ثمود، قال: و يروي أن الرس قرية باليمامة يقال لها فَلْج ، و يُروي أنهم كذبوا نبيهم و رسُّوه في بئر ، أي دسُّوه فيهاحتي مات ، ويُروي أن الرّسّ بئر ، و كل بئر عند العرب رسّ .

(٢) القرطبي ، ج ٢ ، ص ١٠٠ .

(٣) راجع ص ٧٢ من هذا البحث .

(٤) يقول الجاحظ : و ناس يزعمون أن النبي صلي الله عليه و سلم و عيسي بن مريم ولدا مختونين . (الحيوان ، ج ٧ ، ص ٢٧) .

وصفت طفولة السيد المسيح ، فذكرت لنا أنه أختتن في اليوم الثامن لولادته حسب شريعة اليهود [١]. أما عن موسي (عليه السلام) فلم يرد عن ختانه شئ في أسفار العهد القديم [٢]. و علي أية حال فإن ما أوردناه بشأن ختان الأنبياء و الرسل ، لا يتعارض في جملته مع تفسير عبارة : أن إبراهيم (أول الناس أختتن) حيث قيل فيها: "ذلك لأن سائر الأنبياء كانوا يولدون مختونين ، ولم يكن سائر الناس مأمورين به ، و لما أختتن إبراهيم عليه السلام صار سُنَّة لجميع الأنام إلا من وُلِد مختونا [٣]".

واختلف الرواة [٤] في ولادة الرسول صلي الله عليه و سلم مختونا ، و قيل

(١) لو ٢ : ٢١ - ٢٤ ؛ وانظر : ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٢٤ ؛ و راجع ص ٦٩ - ٧١ من البحث .

(٢) انظر الإصحاح الثاني من سفر الخروج الذي يصف لنا طفولة موسي باختصار شديد (فقرات ١- ١٠) . و علي الرغم من عدم وجود أية إشارة عن ختان موسي عليه السلام ، فإن هناك من الإشارات ما يؤكد لنا معرفة موسي جيدا لشعيرة الختان ، بل إن أمر الختان قد فرض علي بني إسرائيل في سيناء عندما كلمه الرب (لاو ١٢:١ -٣) ، و أن صفورة زوجة موسي قد ختنت ابنها ، علي نحو ما أشارت إليه قصة عريس الدم (خر ٤ : ٢٤ - ٢٦) .- راجع ص ٣٥-٤٠ من البحث .

(٣) انظر الكاندهلوي ، ص ٢٤٤ .

(٤) انظر : الكاندهلوي ، ص ٢٤٣ ؛ ابن العربي ، ص ٢١٧ ؛ الجاحظ ص ٢٧ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١، ط٢،بيروت ،١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ؛ ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ،ج١ ط١ ، بيروت - الكويت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م،ص ٨١-٨٢ ؛ السهيلي ،الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لأبن هشام ، ج١ ، دار الفكر ، بيروت ص ١٨١؛ أبو زيد (محمد) ، هدي الرسول صلي الله عليه و سلم - مختصر من زاد المعاد ، ص ٥ ، القاهرة ، ص ٢٥ .

في ختانه (صلوات الله عليه و سلامه) ثلاثة أقوال ، نعرضها على النحو التالي :-

١ - أن النبي صلي الله عليه و سلم وُلد مختونا مسرورا (أي مقطوع السُرَّة) . و يروي في الحديث عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، قال : وُلد رسول الله صلي الله عليه و سلم مختونا مسرورا ، قال: فأعجب جده عبد المطلب و حَظِي عنده، و قال : ليكونن لإبني هذا شأن ، فكان له شأن . و قيل أن هذا الحديث في صحته نظر ، و لكن البعض إدعي صحته[١].

و رُوي في حديث عن الحسن عن أنس ، قال: قال رسول الله صلي الله عليه و سلم " مِنْ كرامتي علي الله أني وُلدت مختونا و لم يَرَ سوأتي أحد[٢]، و في إسناده عدة مجاهيل . و قيل أن كل حديث في هذا الباب يناقض الآخر ، و لا يثبت واحد منها . فذكر محمد ابن علي الترمذي في معجزات النبي عليه الصلاة و السلام فقال : و منها ان صفية بنت عبد المطلب قالت : أردت أن أعرف أذكر أم أنثي ، فرأيته مختونا . و هذا الحديث لاثبت ، و ليس له إسناد يعرف به[٣].

(١) ابن كثير ، ص ٢٠٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .
السَّوْأة : فرج المرأة و الرجل ، و في التنزيل((فَبَدَتْ لهما سَوْأتُهُما)) (طه ١٢١) - ابن سيده ، ص ٣٨ .
(٣) ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ١٥٩ .

و كانت العرب تزعم أن الغلام إذا وُلد في القمر ، فسخت قلفته، أي اتسعت ، فيصير كالمختون . و كانوا يقولون لمن يولد هكذا :"ختنه القمر" ، و لكن كثيرا من الناس يولد مختونا . فقال الميموني : قلت لأبي عبد الله : مسألة سئلت عنها : خَتّان خَتَنَ صبيا ، فلم يستقص؟ قال : إذا كان الختان جاوز نصف الحشفة إلي فوق ، فلايعيد لأن الحشفة تغلظ ، و كلما غلظت ارتفع الختان . فأما إذا كان الختان دون النصف، فكنت أري أن يعيد . قلت فإن الإعادة شديدة جدا ، و قد يخاف عليه من الإعادة ؟ فقال : لا أدري ، ثم قال لي : فإن هاهنا رجلا ولد له ابن مختون ، فاغتمّ لذلك غَمّا شديدا ، فقلت له : إذا كان الله قد كفاك المؤنة ، فما غَمُّك بهذا ؟ و حدّث أبو عبد الله محمد بن عثمان الخليلي المحدث ببيت المقدس أنه وُلد كذلك ، و أن أهله لم يختنوه و الناس يقولون لمن ولد كذلك : ختنه القمر ، و هذا من خرافاتهم.(١)

و قيل أن قيصر ملك الروم - في زمن إمرئ القيس - ولد كذلك، و كان قد دخل عليه إمرؤ القيس الحمام ، فرآه كذلك ، فهجاه قائلا:

إني حلفت يمينا غير كاذبة   لأنت الأغلف إلا ما جني القمر

و في هذا البيت ، يعيره إمرؤ القيس أنه لم يختتن ، ويعتبر ولادته علي هذا النحو نقصا . و قيل أن هذا البيت كان أحد الأسباب التي دفعت قيصرا ان سَمَّ الشاعر فمات و أنشد ابن الأعرابي فيمن ولد بلا قلفة ، قائلا :

فذاك نكس لا يبغي حجره   فحزة العرض حديد منظره

في ليل كانون شديد خصره   عض بالحراف الزبانا قمره

(١) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد ، ص ٤٨١ الكاندهلوي،ص ٢٤٣ .

يقول الشاعر في هذين البيتين : هو أقلف ليس بمختون إلا ماقلص القمر ، و شبه قلفته بالزبانا : و هي قرنا العقرب .وكانت العرب لا تعتد بصورة الختان من غير ختان ، و تري الفضيلة في الختان نفسه و تفخر به .

و إذا كانت هذه هي نظرة العرب إلي من يولد مختونا،فكيف يجوز ان يكون ما ذكر عن النبي صلي الله عليه و سلم في هذا الشأن، مما يميز به و يخصص . و قيل أن الختان من الكلمات التي ابتلي الله بها إبراهيم عليه السلام فأتمهن ، و أشد الناس بلاء الأنبياء ، وقد عد النبي صلي الله عليه و سلم : الختان من الفطرة . و من المعلوم أن أن الابتلاء به مع الصبر عليه مما يضاعف ثواب المبتلي به و أجره، و الأليق بحال النبي عليه الصلاة و السلام ان لا يُسلب هذه الفضيلة، و أن يكرمه الله بها كما أكرم خليله ، فإن خصائصه أعظم من خصائص غيره من النبيين و أعلي [(١)].

٢ - أنه صلي الله عليه و سلم خُتن عند حليمة السعدية ، يوم شق قلبه الملائكة ، و قيل أن جبرئيل ختنه حين طهر قلبه [(٢)]. فروي عن أبي بكرة ، أن جبريل ختن النبي صلي الله عليه و سلم حين طَهَّر قلبه. و قيل فيه ان هذا غريب جدا [(٣)].

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود ، ص ١٦١ ؛ وانظر : أبو زيد ،ص ٢٥ .
(٢) انظر : الكاندهلوي ، ص ٢٤٣ ؛ ابن قيم الجوزية، تحفة المودود ، زاد المعاد ، ص ٨١ .
(٣) ابن كثير ، ص ٢١٠ .

٣ ـ أنه صلي الله عليه و سلم خُتن علي عادة العرب ، و أن جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه ، و صنع له مأدبة و سماه محمدا . و قيل فيما ورد في ذلك من حديث ، أنه حديث مسند غريب (١).

و إذا كنا لا نستطيع أن نؤكد خبر ولادة النبي صلي الله عليه و سلم مختونا ، فإننا لا نشك أنه (صلي الله عليه و سلم) ـ علي أية حال ـ عاش حياته مختونا . فإذا أخذنا برواية من قال أن النبي (صلي الله عليه و سلم) ولد غير مختون ، فإننا نعتقد إعتقادا تاما أن آله ـ كعادة العرب ـ قاموا بختنه في صباه ، حيث كان عرب الجاهلية يمارسون عادة الختان في النساء و الرجال منذ زمن بعيد قبل الرسالة المحمدية ، قد يرجع إلي زمن إبراهيم و هاجر (٢). و إذا كان المسلمون يمارسون الختان منذ بداية الدعوة المحمدية ، فإنهم يتبعون في ذلك ماكان عليه النبي (صلي الله عليه و سلم) ، سواء ولد مختونا أم أختتن في حياته ، و يتبعون سُنَّة إبراهيم (عليه السلام) التي اتبعها عرب الجاهلية قبل الإسلام ، خاصة أن الإسلام لم يحرمها كما حرم الكثير من عادات الجاهلية . قال تعالي : ((ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا))(٣).

---

(١) القرطبي، ج٢، ص ١٠٠ ـ ١٠١ ؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد ، ص ٨٢ .
(٢) الجاحظ ، ص ٢٧ .
(٣) سورة النحل : ١٢٣ . يقول المسقطون لوجوب الختان ، ردا علي من استند لهذه الآية ، أن الملة المقصودة هي الحنيفية و هي التوحيد ، و لهذا وضحها تبارك و تعالي بقوله حنيفا و ما كان من المشركين . و قال يوسف الصديق: "إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ، و هم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق و يعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ" (يوسف ٣٧ ـ ٣٨) . وقال تعالي ": قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا و ما كان من المشركين" (آل عمران ٩٥).

خفاض هاجر :

لم ترد أية إشارة في القرآن و السُنّة عن خبر خفاض هاجر، زوجة ابراهيم (عليه السلام) ولا نجد كلمات صريحة تشير إلي ذلك في كل ماورد عنها من قصص في أسفار العهد القديم . و مع ذلك ، فإن بعض المصادر التاريخية تخبرنا عن خفضها ، و الظروف التي حدث فيها ذلك ، و أسبابه .

فقد قيل أن أول إمرأة خفضت هي هاجر ، أم العرب ، و لكن خفاضها هذا كان في صورة عقاب لها فرضته عليها سارة الزوجة الأولي لإبراهيم .

فكانت هاجر جارية لسارة ، و لما كانت سارة عاقرا ، أعطت هاجر لإبراهيم زوجة له ، فدخل علي هاجر فحبلت ، و ولدت له ابنا ، دعاه اسماعيل [١]. و يقول ابن الأثير [٢] أنه "لما وُلد إسماعيل حزنت سارة حزنا شديدا فوهبها الله إسحق و عمرها سبعون سنة [٣] و عمر إبراهيم مائة و عشرون سنة [٤] ، فلما كبر إسماعيل و إسحق إختصما فغضبت سارة علي هاجر فأخرجتها ثم أعادتها ، فغارت منها فأخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضعة فتركت أنفها و أذنها لئلا تشينها ، ثم خفضتها ، فمن ثم خفض النساء . و قيل كان إسماعيل صغيرا و انما أخرجتها سارة غيرة منها ، و هو الصحيح". و قيل أن سارة عندما غضبت عليها ، حلفت

(١) انظر تك ١٦:١٦ "كان أبرام ابن ست و ثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام".

(٢) الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ط ٥ ، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م،ص ٥٩ .

(٣) حسب العهدالقديم: كان عمرسارةتسعين سنةعندماولدت اسحق. قارن تك ١٧:١٧ .

(٤) حسب العهدالقديم: كان ابراهيم ابن مائةسنةعندما ولد اسحق. قارن تك ١٧ : ١٧ ؛ ٢١:٥

أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها ، فخاف ابراهيم أن تجدع أنفها أو تقطع أذنها ، فأمر عليه السلام أن تبر قسمها بثقب أذنيها وخفاضها ، فصار ذلك سنة في النساء فيما بعد(١).

ولا نعتقد أن سبب هذه الحادثة هو اختصام إسماعيل واسحق،حيث أنها وقعت - على الأرجح - بعد فِطام اسحق مباشرة . و كان فارق العمر بينهما كبيرا ، فإسماعيل كان ابن أربع عشرة سنة عندما وُلد اسحق ؛ و إذا أخذنا في الاعتبار أن فطام اسحق كان مبكرا بالقياس مع ما كان متبعا في فطام أطفال ذلك الزمن ، فإننا نرجح أن اسحق كان صغيرا إلي حد نستبعد معه حدوث خصام مع أخيه إسماعيل الذي يكبره بأربع عشرة سنة تقريبا .

و من المرجح أن ذلك النزاع الذي وقع بين سارة و هاجر ، وأدي إلي أن خفضت الأولي الثانية ، قد وقع في فترة من اثنتين،وكان لكل منهما سبب يختلف عن الآخر :

١ - بعد أن حبلت هاجر مباشرة ، أي في وقت الحمل ، اشتد غيظ سارة ، فأذلتها . ويصور لنا سفر التكوين جانبا من هذا المشهد فيقول: "فدخل علي هاجر فحبلت . و لما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها . فقالت ساراي لأبرام ظلمي عليك . أنا دفعت جاريتي إلي حضنك . فلما رأت أنها حبلت صَغُرْتُ في عينيها . يقضي الرب بيني و بينك . فقال

(١) السهيلي ، ص ١٧ ؛ ابن قيم الجوزية ، تحفة المودود ، ص ٤٨-٤٩ .

أبرام لساراي هو ذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينيك . فأذلتها ساراي . فهربت من وجهها (١).

٢ - بعد ولادة سارة لإسحق ، و خوفها أن يتقاسم إسماعيل وابنها الميراث . و يشير سفر التكوين إلي ذلك فيقول: "و رأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح . فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق . فقبح الكلام جدا في عيني إبراهيم لسبب ابنه . فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام و من أجل جاريتك . في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها . لأنه بإسحق يدعي لك نسل . وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك(٢)".

الإحتفال بالختان و الدعوة له :

يعد الإختتان من المناسبات المفرحة و المبهجة في حياة الأسرة، منذ زمن بعيد و حتي وقتنا الحاضر . و في هذه المناسبة ، اعتاد العرب ، منذ عصر ما قبل الإسلام ، دعوة ذوي القربي و الأصدقاء إلي الولائم ، و يظهر الأطفال في أبهي حللهم ، ابتهاجا و فرحا بيوم الختان (٣). و كان المسلمون في عهد الرسول (عليه الصلاة و السلام) يوجهون الدعوة للأقارب و المعارف لحضور الاختتان ، و لكن هذه الدعوة لا توجه إلا في ختان الذكور فقط ، فيروي أن السُنّة اظهار ختان

(١) تك ١٦ : ١-٦ .
(٢) تك ٢١ : ٩-١٣ .
(٣) علي (جواد) ، ج ٤ ، ص ٦٥٤ .

الذكر و إخفاء ختان الأنثي[1] .

و كان الناس يعتبرون يوم الختان عيدا ، و ظل عيد الختان أهم الأعياد العائلية ، و لم يتحول إلي عيد "خاص" ، لأنه ظل محتفظا بالكثير من خصائص أعياد بلوغ الشباب عند القدماء ، حيث كان يرمز الاختتان إلي دخول الصبي في طور الرجولة .

و يبدو أنه كان من الناس من كره أن يختن لابنه منفردا ، فيُحكي عن الخليفة المقتدر[2] أنه ختن خمسة من أولاده ، و ختن قبل

---

(١) الكاندهلسوي ، ص ٢٤٤ .

(٢) هو جعفر بن المعتضد ، الملقب بالمقتدر بالله ، الخليفة في بغداد . تولي الخلافة بعد أن اشتد المرض علي الخليفة المكتفي في عام ٢٩٥ هـ - ٩٠٧م ، و ساعده في ذلك أبو أحمد العباس بن الحسن وزير المكتفي . تقلد المقتدر الحكم و كان صبيا صغيرا في الثالثة عشرة ، و لذلك كان انتخابه للخلافة انتخابا غير شرعي ، لعبت أمه دورا كبيرا في القبض علي زمام الأمور ، فظل المقتدر يحكم زهاء خمسة و عشرين عاما ، تحت جناحي أمه ، خلع أثناءها مرتين ولم يخرج في جيش ليقاتل إلا مرة واحدة ، و هي المرة التي قتل فيها . انظر متز (آدم) ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ج١ تونس - الجزائر ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٦م ص ٣١ - ٣٤ ؛ بروكلمان (كارل) ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس و منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط١٠ ، بيروت ١٩٨٤م ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

ذلك جماعة من الأيتام ، و نثر في هذا الختان خمسة آلاف دينار عينا، و مائة ألف درهم ورقا ، وُوزِّعت فيه دراهم و كسوة ، و يقال أنه بلغت النفقة فيه ستمائة ألف دينار[1].

و حكي أبو جعفر الجزار عام ٣٤٠ هـ - ٩٥١م أنه في هذه السَّنَة أمر إسماعيل بن القائم (الفاطمي) أن يكتب له أولاد القواد و وجوه رجاله من كتامه، والعبيد والجند وضعفاء الناس من أهل القيروان و غيرها، ليختتنوا و يُحسن اليهم بالكسي والصلات ، فبلغوا أكثر من عشرة آلاف ، فابتدأ في ختانهم، وعمل ولائم و أطعم خاصة الناس و عامتهم ، و أعطي الصبيان علي قدر مراتبهم من مائة دينار لكل واحد إلي مائة درهم وأقل من ذلك ، فكان يُختن في كل يوم من خمسمائة إلي ألف وثلاثمائة، فأقام علي هذا سبعة عشر يوما. قال أبو جعفر الجزار: فسمعت من يقول من أهل الخدمة أنه أحصي ما أنفق في هذا الختان ، فكان مائتي ألف دينار، وحدث في البلد عند ذلك من الإنفاق و اللهو ما لم يُرَ مثله[2].

وكان من أكبر الاحتفالات التي شهدتها قصور الخلافة حتي القرن الثالث الهجري، حفل ختان عبد الله المعتز بن المتوكل ، الذي أقيم في قصر بركوار الذي بناه المتوكل[3] في القادسية ، و وهب

---

(١) انظر : متز ، ج ٢ ، ص ٧١٩ .

(٢) كتاب العيون والحدائق مخطوط برلين، ص ٢٥٢ب - ٢٥٣أ؛ نقلا عن متز، ج٢، ص ٧١٩.

(٣) هو جعفر المتوكل علي الله في بغداد. تولي الخلافة في سامراء بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢هـ (٨٤٧م)، ودامت خلافته حوالي خمس عشرة سنة، حيث قتل في سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١م). وكان المتوكل قد عقد ولاية العهد في مستهل خلافته لابنه الأكبر، المنتصر ثم لابنيه الأصغرين، المعتز والمؤيد من بعده. ولكن الفتح بن خاقان - الذي كان يتولي ديوان الخراج في خلافة المتوكل وكان مقربا منه - أوغر صدر الخليفة علي المنتصر، فقدم عليه أخاه المعتز في ولاية العهد، مما دفع المنتصر للتآمر علي أبيه، وانتهز أول فرصة لقتله في قصره الجعفري الذي كان قد أقامه علي أبواب سامراء - انظر: بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢١٢-٢١٤؛ الشابشتي (أبو الحسن علي بن محمد)، الديارات، تحقيق ونشر كوركيس عواد، بغداد، ١٩٥١م، ص ٢٣٠ .

لإبنه "المعتز"، و جعل إعداره فيه . و يصف لنا كتاب "الديارات"(١) ما حدث في هذا الحفل ، وصفا كأنه من قصص الخيال . فحضره الأمراء و القواد و الندماء و أصحاب المراتب ، و أحياه كثير من المغنيين و المغنيات ، و الضاربون علي الطبول و الدفوف و النافخون في المزمار . و أقيمت الولائم العامرة بالمأكولات و المشروبات ، حتي أن أقداح النبيذ قد قدمت فيه . و أمر الخليفة الناس بالشرب ، و كان علي كل من يشرب أن يأخذ ثلاث حفنات بقدر ما حملت يداه من الدنانير و الدراهم التي إمتلأت بها أوعية موضوعة بين الأطعمة . و أعتق المتوكل عن المعتز ألف عبد ، و أمر لكل واحد منهم بمائة درهم و ثلاثة أثواب . و ضربت أم المعتز ألف ألف درهم، كُتب عليها "بركة من الله ، لإعدار أبي عبد الله المعتز بالله"، ونثرت هذه الدراهم علي "المزين" و من حوله ، و علي الغلمان و فرقة من الجند، و الخدم . و يقال أن المتوكل أنفق في هذه الإحتفالات ستة و ثمانين ألف ألف درهم . و يتضح مما رُوي أن الذي قام بعملية الختان هو "المزين" و إن كان مزينا خاصا للخليفة(٢).

---

(١) الشابشتي ، ٦٥ أ - ٦٦ أ (ص ٩٦ - ١٠٠) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٨ ، ١٠٠ .

الفصـــل الســـادس

الختان عنـــد القبائل و الشعوب

فـي العصـر الحاضـر

عرفـت الختان و مارسـته ، بعض القبائل و الشعوب البدائيــة واستمر فــي وسطها حتي عصـرنا الحاضـر . و جـدير بالذكر أن كثيرا من القبائل و الشعوب تقـوم بإجـراء الختان لأسباب بعيـدة كل البعـد عن اتبـاع سُـنَّة ابراهيم (عليه السلام) ، خاصة إذا ما كانت هذه الشعوب لا تربطها أدنـي صلة باليهـودية أو المسيحية أو الإسـلام .

فهناك شـعوب و قبائل متعددة فـي أفريقيا تقـوم بعملية الإختتـان لأبنائها ، و مارسهـا كذلك التتـار و القبائل البولينيزية [١] و الميلانيزية [٢] و كثير من أبنـاء استراليا ، و قبائل هـندية منتشـرة في أنحاء أمريكا [٣] . و يبـدو أن وجـود عادة الختـان بين هـذه الجماعات ، هو ثمـرة تـراث قديم جـدا يصعب التحقق من أصوله و جـذوره [٤] .

---

(١) هم سكان جزر بولينزية ، و هي مجموعة الجزر الكثيرة المنشرة فـي المحيط الهادي، المعروفة باسم أوقيانيا . و تقع الجزر البولينزية إلي الشرق من هذه المجموعة ، و تشمل منطقة واسعة تمتد من جزر جيلبرت شمالا إلي نيوزيلندة جنوبا ، و من جزر كلدونية الجديدة غربا، إلي جزر ماركز شرقا و تدخل جزر هاواي و فيجي فيها من حيث المعتقدات الدينية .- انظر: الهاشمي (طه) ، تاريخ الأديان و فلسفتها ، بيروت ، ١٩٦٣م، ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) هم سكان جزر ميلانيزية ، و هي أيضا ضمن مجموعة الجزر الكثيرة المنتشرة في المحيط الهادي ، المعروفة باسم أوقيانيا وتقع إلي غربي ماليزية و جنوبي ميكرونزيه ، و تشمل جزر غينيا الجديدة و هبريديا الجديدة و جزر سلامون و غيرها .- انظر: الهاشمي، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٣) يطلق علي السكان الأصليين في أمريكا الشمالية اسم الهنود الحمر ، وهو اسم يدل علي أن مكتشفي هذه البلاد اعتقدوا أنهم وصلوا إلي جزر الهند الشرقية (أندونيسيا وماحولها) . و يطلق علي الهنود الحمر ايضا اسم "الجلود الحمر" نسبة إلي لون بشرتهم النحاسي . ينقسمون إلي قبائل و عشائر ، ولا ينتمـون جميعا إلي شعب واحد ، ولا يتكلمون لغة واحدة .- انظر: الهاشمي، ص ٣١٩-٣٢٠.

(٤) האנציק׳ העברית , עמ׳ 195 . Ency. Judaica, Cel.575.
The Universal Jewish Ency., P. 211.

و مما لا شك فيه أن انتشار الإسلام في كثير من المناطق التي تسكنها هذه الشعوب و القبائل - مثل أفريقيا و جزر المحيط الهادي - كان له دور كبير في إنتشار عادة الختان .

واختلفت هذه القبائل و الشعوب فيما بينها في طريقة إجراء عملية الختان ، فمنها من يكتفي بعمل قطع أو شق بالقلفة ، و منها من يقطع جزءا صغيرا منها و حسب، و منها من يقطع القلفة مع جرح عضو الذكورة نفسه . كما اختلفت أيضا في تحديد زمن معين من عمر الصبي أو الفتاة لإجراء الختان ، و كذلك في الطقوس المرتبطة بالعملية ، و في القائمين بإجرائها .

فبعض القبائل تعتبر الختان جزءا من طقوس الإنتقال إلي زمن البالغين، فجعلته جزءا من عدة إختبارات بدنية شاقة لإثبات النضج و الرجولة . في حين ارتبط الختان عند عديد من الجماعات بعبادات الإخصاب واعتبرته بعض القبائل رمزا بديلا لعادة قديمة ، حيث كان أفرادها يقدمون أطفالهم كقربان للآلهة [1].

و في أفريقيا نجد أن بعض قبائلها إعتاد ختان الذكور و الإناث علي السواء ، وبعضها يختن الذكور دون الإناث ، فضلا علي أن هناك قبائل لا تعرف ختانا للذكور أو الإناث . و في الوقت الحاضر ، ينتشر الختان بين قبائل عديدة ، و يتزايد وسطها بإطراد ، و من أسباب هذا الإنتشار ، اعتناق كثير من القبائل للإسلام : و يبدو أن هذه القبائل

---

(1) האנציק' העברית ، עמ' 195 .

تنظر إلي الختان باعتباره أحد المظاهر الدالة علي إعتناقها للإسلام . و قد انتقلت عادة الختان إلي بعض القبائل بعد احتكاكها بقبائل أخري مجاوره مارسته ، فكان هذا الإحتكاك عاملا ساعد علي انتشار الختان في مساحات شاسعة .

فالأزاندي ، مثلا ،لم يمارسوا الختان في تاريخهم القديم ، لكنه الآن اخذ في الإنتشار بينهم . و يقال أن نساءهم يشجعن علي انتشاره، فهن يحببنه ، و يقلن أن المختونين من الرجال أنظف من غير المختونين.(١)

و يمارس الجوكون أيضا الختان ، لكنهم لم يعرفوه منذ زمن بعيد. و قد شاع الإعتقاد فيما بينهم أن أولاد الرجل غير المختون يكونون ضعاف البنية و العقل . ولا تقبل نساؤهم الزواج من رجل غير مختون.(٢)

وارتبط الختان عند بعض الشعوب و القبائل الأفريقية ، و كذلك عند سكان أستراليا ، بالطقوس الدينية ، و هو قديم عندهم قدم هذه الطقوس. فاكتسب الختان عند القبائل التي تمارسه أهمية شعائرية ، فكانوا يجرونه في العادة وسط احتفالات دينية هامة . و كانوا يعتبرونه من أهم الطقوس التي ينتقل بعدها الصبي من مرحلة الطفولة إلي مرحلة الرجولة الكاملة ، و بلوغ الصبية أيضا مرحلة النضج كإمرأة مكتملة .

---

(١) زناتي (محمود سلام ،د.) الإسلام و التقاليد القبلية في أفريقية،بيروت ١٩٦٩ م ، ص ٢٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

و من أهم الطقوس عند كثير من الشعوب و القبائل في أفريقيا و غينيا الجديدة و غيرها ، ما يعرف بطقوس المرور ، أو تلقين الأسرار ، أو الإرشاد[١]. فكان المرور من مرحلة الصبا إلي سن البلوغ يتطلب بصورة عامة طقوسا عديدة تسمي مراسم الإرشاد أو الإطلاع علي الأسرار . فعندما يصل الشاب سن البلوغ يكون مؤهلا لإطلاعه علي الأسرار ، و ذلك بتلقينه إياها في إجتماع سري يحضره الشيوخ . و بعد أن يلقن يسمح له بأن يقضي وقته في مشاغل القبيلة المحلية ، والإشتراك في الإحتفالات الدينية . و قبل إجراء مراسم تلقين الأسرار يجب علي الشاب أن يجتاز بعض الإختبارات الدينية الشاقة كالصوم و الختان و كسر الأنياب و قلعها واستنزاف الدم و غيرها[٢] .

و يقوم الزنوج القاطنون علي سواحل خليج غينيا في أفريقيا الغربية ، بالختان الجماعي لأبنائهم ، ضمن مراسم يقيمونها إحتفالا بتخريج من أنهوا تدريباتهم و أعدوا للقيام بمهام الكهانة ، وتتراوح مدة التدريب علي الكهانة ما بين سنتين و ثلاث سنوات ، يعيشها المريدون في رعاية كاهن ، و يخضعون لتدريب جماعي في الأديرة . ويجوز ان يكون للإله كاهنات من النساء ، لكن يراعي أن يوضع كل من البنات و الصبيان في مكان خاص أثناء فترة التدريب . و عند انتهاء تدريبهم ، يحتفل بالخريجين احتفالا دينيا عظيما تحضره جميع الأسرات ،

---

(١) توجد أيضا إحتفالات خاصة بالانتماء للجمعيات السرية في بولينزية و ميلانيزية و كذلك في أفريقيا الغربية و مناطق أخري .

(٢) الهاشمي ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

و يشترك فيه الصبيان من سن الخامسة إلي الخامسة عشرة .

ففي قبيلة المانجا الزنجية ، يقام لهذا الغرض معسكر علي مقربة من نهر ، حيث يُحشد فيه الصبيان الذين ستجري لهم عملية الختان . و هناك ينامون علي أسرّة من جريد و حشوات من أوراق الشجر يُشدون إليها كل ليلة ليظلوا راقدين علي ظهورهم ، و يقام في وسط المعسكر محراب مقدس . و فور دخول الشباب إلي المعسكر يفرض عليهم الصوم ثلاثة أيام ، يتدربون فيها علي الرقص ثم يغتسلون في النهر ، ثم يقومون باستعراض رياضي مارين بين صفين من المراهقين الذين اجتازوا التلقين قبلا ، و يضربونهم بالسياط ، ثم تبدأ عملية الختان و هم وقوف علي شاطئ النهر ، و تلقي غرلتهم في مياه النهر ، و تضمد جروحهم ، و في نفس الماء يرغمون علي الرقص دون أدني اهتمام بما ينزف من دمائهم . و بعد انقضاء اثني عشر يوما داخل المعسكر - قضوها في تمرينات و تدريبات شاقة - يسمح لهم بالخروج للصيد . و قبل خروجهم نهائيا من المعسكر تمحي أسماؤهم القديمة ، و تطلق عليهم أسماء جديدة ، و يُحرم عليهم مخاطبة الناس إلا بعد ثلاثة أيام رمزا إلي أنهم قد ماتوا ثم بُعثوا من جديد . و بعد ذلك يُحرق المعسكر بكل مافيه من ملابس قديمة ، ثم يُفرج عنهم بعد هذا الإمتحان العسير ، و يُسمح لهم بالعودة إلي أهلهم [1].

---

(١) الهاشمي ، ص ٣٠٤ - ٣٠٦ ؛ ديشان (هوبير) ، الديانات في أفريقيا السوداء ، ترجمة أحمد صادق حمدي . مراجعة د. محمد عبد الله دراز ، القاهرة ١٩٥٦م ، ص ٧٥ - ٧٦ .

و مارس زنوج البمبارا عادة الختان ، و كانوا يعتبرونه من الأمور الهامة التي تجعل الرجل مؤهلا للقيام بواجباته الدينية . فمن يكون أهلا لتقديم الأضحية ، هو من كان بالغا ، و ربا لأسرة ، و مالكا لبيت ، و مختونا (١).

و عرف أقوام أفريقيا عادة الختان ، و كانوا يجرونها في حفلات الإرشاد (الإطلاع علي الأسرار) ، و يبدو أنهم اقتبسوها عن الزنوج (٢).

و يدخل الختان ضمن مراسم تلقين الأسرار عند سكان أستراليا أيضا . فحتي يؤهل الفتي للإشتراك في الاحتفالات الدينية والاجتماعية و رؤية بعض المقدسات ، عليه أن يجتاز اختبارات خاصة، مادية و معنوية ، يتحمل فيها بصبر التدريبات والرياضات البدنية الشاقة . إن التعذيب من جملة الرياضات البدنية التي يُختبر بها الفتي المرشح ، و الغرض من تهيئته لمجابهة المخاطر في الحياة الدينية ، و من ضروب التعذيب هذه ، قلع الأسنان و تشريح بعض أجزاء البدن بالصوان أو بآلة جارحة أخري . و بعد أن يجتاز الفتي اختبارات المرحلة الأولي ، تُكَسَّر أسنانه الأمامية أو يختتن ، ثم تقام مراسم خاصة يرمزبها إلي أن الفتي قد بعث للحياة من جديد ، فيطلعونه علي الأسرار و الطقوس الدينية (٣).

---

(١) الهاشمي ، ص ٣٠١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

و عند زنوج أفريقيا ، تستمر احتفالات تلقين الأسرار للبنات شهرا قمريا كاملا ، حيث تفرض عليهن الإقامة في مكان منعزل، يغنين و يرقصن ، ثم يغتسلن في النهر ، و تجري لهن عملية الختان بواسطة إحدي عجائز الحي ، و يُلقي ما أُقتطع منهن في النهر كما حدث للصبيان . و بعد تضميد جراحهن يرقصن في الليلة ذاتها و يتلقين كذلك تعليما و تدريبا خاصا بهن[١].

و تختلف طريقة إجراء عملية الختان من قبيلة إلي أخري فيكتفي عند بعض القبائل باستئصال البظر كلية أو جزئيا ، في حين يبالغ عند البعض الآخر في عملية القطع و يضاف إلي ذلك إستئصال الشفرين .

و يصف لنا المقريزي[٢] عادة البجة في هذا الشأن فيقول: "... و ليس منهم رجل إلا منزوع البيضة اليمني و أما النساء فمقطوع أشفار فروجهن و أنه يلتحم حتي يشق عنه للمتزوج بمقدار ذكر الرجل ثم قلّ هذا الفعل عندهم و قيل أن السبب في ذلك أن ملكا من الملوك حاربهم قديما ثم صالحهم و شرط عليهم قطع ثدي من يولد لهم من النساء ، و قطع ذكور من يولد من الرجال أراد بذلك قطع النسل منهم فوفوا بشرط و قلبوا المعني في أن جعلوا قطع الثدي للرجال و الفروج

(١) ديشان ، ص ٧٦ ؛ الهاشمي ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .
(٢) الخطط المقريزية ، ص ١٩٥ .

للنســـاء و فيهم جنـــس يقطعون ثناياهم و يقولون لا نتشبه بالحمير".

و يحدثنا ابن عمر التونسي [1] عن هـــذه العادة لدي الفور فيقـــول:
"و من عاد تهم ختن البنـــات لكنهم في ذلك علـــي أقســـام . فمنهم مـــن لا يري ذلك أبدا و هم أعجـــام الفـــور . و منهم من يخفـــض خفضـــا خفيفـــا كعادة أهل مصـــر و هم أكابر الناس . و منهم من ينهك فـــي الخفاض حتي يلتحم المحـــل ببعضه و يجعلون لمســـلك البول ماسورة مـــن صفيح . و هـؤلاء إذا زوجـــوا ابنتهم لا يقـــدر الرجل علي افتضاضهـــا حتي يشقون له المحل بالموسي . و هناك نســـاء لهذا المعني . و فـــي الولادة كـــذلك".

و هناك من القبائل الزنجيـــة من لا تعرف عادة الختان ، و يعـــوض عنهـــا فـــي حفلات التلقين باختبارات أخـــري ، كأن توسم الناصيـــة أو الخـــدود بآلة حادة ، أو تقلـــع بعض الثنايا الســـفلي و تجعل بعـــض الثنايا العليـــا من الأســـنان مدببـــة . و تحـــور عمليـــة الخفاض عنـــد قبائـــل الهوتنتوب إلـــي مط أشـــفار عضـــو التأنيث حتي يتـــواري . و يحظـــر علي النســـاء فـــي كل الحالات حضـــور حفلات تلقين الذكـــور ، كما يحظـــر علـــي الرجال حضـــور احتفالات تعليم البنات [2].

---

(١) تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب و السودان ، نشره Perron باريس ١٨٥٠ م .ـ نقلا عن : زناتي ، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .
(٢) الهاشمي ، ص ٣٠٧ ؛ ديشان ، ص ٧٧ .

و يجري العرف عند بعض القبائل الأفريقية علي تحريم الإتصال الجنسي بين الذكور و الإناث قبل إجراء ختانهم . و من العار الشديد أن تحمل فتاة قبل ختانها . و من المعتقد عند هذه القبائل أن الحمل السابق علي الختان يصيب الفتاة بنجاسة شديدة ، قد يستتبعه في بعض القبائل التخلص من الفتاة ذاتها ، أما الوليد الناجم عن هذا الحمل فلا يُسمح له بالحياة [١].

ولا يوجد الختان فقط وسط هذه القبائل و الشعوب المتفرقة في أفريقيا وأستراليا و جزر المحيط الهادي و أمريكا (قبائل الهنود الحمر) ، بل إنتشر أيضا في عصرنا الحاضر وسط العالم الغربي لأسباب طبية و صحية . فإزالة القلفة تقي صاحبها مما قد تسببه من التهابات مصحوبة بتقيحات نتيجة لما يعلق بها من أوساخ، قد ينجم عنها إحتباس في البول . و قد أشارت عدة أبحاث إحصائية إلي ندرة الإصابة بأمراض سرطان عنق الرحم ، وسرطان عضو الذكورة ، بين الشعوب التي تمارس الختان [٢].

---

(١) زناتي ، ص ٢٢٨ .
(٢) האנציקלופדיה העברית, עמ' 195، Ency. Judaica, Cel. 575

الفصل السابع

الختان و احتفالاته عند المسلمين

في الوقت الحاضر

لا يقتصر الختان الآن علي المسلمين و اليهود ، بل ينتشر في العالم الغربي لأسباب صحية و طبية .

و سبق أن أشرنا إلي إنتشار الختان بين عدد كبير من شعوب أفريقيا ،بسبب اعتناق بعض هذه الشعوب للإسلام من جهة ، و بسبب تأثر بعضها الآخر - من غير المسلمين - بمن اعتنق الإسلام من جهة أخري .

و نتيجة لاتساع الرقعة التي يعيش عليها المسلمون الآن ، و احتكاكهم بشعوب ذات معتقدات و تقاليد و عادات مختلفة ؛ونتيجة لانتشار الإسلام وسط شعوب لها تراثها الحضاري المتميز ، فضلا عن العامل الزمني الذي يمتد إلي أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، تتابعت طوال هذه الفترة أجيال كثيرة ، ورثت بعضا مما راق لها من تراث اجيال سبقتها ، و أضافت ما أضافته إلي تراثها الخاص،فورثته أجيال لاحقة في ثوب جديد ، و نتيجة لاتساع الرقعة الجغرافية و الزمنية ، نلمس اختلافا بين المسلمين في عاداتهم و تقاليدهم تبعا لاختلاف أوطانهم ، و تبعا للزمن الذي عاشوا فيه . و من المسائل التي ظهر اختلاف المسلمين فيها الختان .

ففـي الوقـت الحاضـر ، يختلف المسـلمون في بعض القضايـا المتعلقـة بالختـان ، أهمهـا :

١ ـ قضيـة خفـاض الإناث .

٢ ـ طريقـة إجراء خفـض الإناث و ختن الذكـور .

٣ ـ الاحتفالات المصاحبـة للختـان ، و طقوسـه .

فعمليـة خفاض الإناث تثير جـدلا كبيرا بين الفقهـاء المسلمين و أطباء العالم الإسـلامي ، و توجـد مناطق كثيرة لا يقوم المسلمون فيها بخفـض الإناث.

فحتي سنوات قريبة ، كانت عملية خفض الإناث سائدة في جميـع أرجـاء مصـر ، شـمالا و جنوبا ، لكنها مُنعت علـي المسـتوي الرسمـي بنـاء علـي قـرار أصـدرته وزارة الصحة المصريـة . و منذ ذلـك الحين ، توقفت المستشفيات عن إجـراء عمليات الخفض ، وامتنع الأطباء عن القيام بها باعتبارها عمـلا غير مُصـرح به ، و تري بعض العائـلات المصـرية الآن ، أن عمليـة خفض فتياتها نوعا من القسـوة و الوحشـية عليهن ، و قـد تري فيها أيضا نوعا من التخلف و الابتعاد عن الرقي ، ومن ثم هجرتها أوساط معينة فـي المجتمع المصـري . و مع ذلك ، فإن عمليـة خفض الإناث لا زالت تمارس عند كثير من العائلات ،وخاصةفي القـري ، شـمالا و جنوبا . و هي شائعة بشـكل خاص في صعيد مصـر ، سـواء فـي القـري أو المـدن .

أما المسلمون في شمال أفريقيا ،لا يمارون عملية الخفض للإنـاث،

فلا نجد لها أثرا في تونس و الجزائر و المغرب ، و هي مناطق يسود فيها المذهب المالكي .

ولا نكاد نلمس عادة خفض الإناث عند شيعة العراق ، و هي غير شائعة عند الأكراد ، و هم في غالبيتهم شافعية . و إن كنا نجد بعض العائلات في قري الموصل - شمال العراق - تخفض فتياتها ، إلا أننا لا نستطيع القول أن خفض الإناث عادة شائعة في العراق ، الذي يسود فيه المذهب الشافعي و مذهب أبي حنيفة .

و المسلمون في تشاد يمارسون عادة خفض الإناث ، و هم يجرونها لبناتهم بالطريقة التي أشارت بها السُنّة ، أي بقطع طرف البظر دون مبالغة .

و في السودان تمارس عمليات خفض الإناث بنسبة كبيرة، تشير إلي أن حوالي ٨٥٪ من السودانيات يُخفضن . و في المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي الثاني [(١)]، اشار بحث خفاض الإناث جدلا كبيرا عندماتقدم به الطبيب السوداني محمد عبد الله خليفة ، و طرحه للمناقشة . و قد أشار الباحث فيه إلي عملية الخفض بوصفها عادة وحشية تُمتَهن فيها كرامة الأنثي جسديا و نفسيا ، و أوضح أن عملية

---

(١) المؤتمر الطبي الإسلامي الثاني ، عقد بمقر جامعة الدول العربيةبالقاهرة في الفترة من ٣ - ٦ جمادي الآخرة سنة ١٤٠٧هـ الموافق ٣ - ٦ فبراير ١٩٨٧م . نظمته كلية الطب - جامعة عين شمس بالتعاون مع الأزهر الشريف ، و كان موضوع المؤتمر: الشريعة الإسلامية و القضايا الطبية المعاصرة . حضره عدد من وزراء الصحة و الأوقاف و البحث العلمي في العديد من الدول العربية و الإسلامية ، و كذلك رؤساء الهيئات الطبية

الخفاض لم تمنع عهرا من أن أجريت ، ولا تمنع فضيلة إذا لم تجر . و أشار إلي أن سبب إثارتها و طرحها علي المؤتمرين أنها مازالت تمارس بنسبة ٨٥٪ بين السودانيات .

و جدير بالذكر ، أن خفاض الإناث في السودان و الصومال و النوبة و غيرها في بعض المناطق الأفريقية ، يتم علي نحو مخالف للسُنّة ، حيث يبالغ في هذه العملية ، فتقطع الخافضة البظر كله ، بل و تجور في القطع إلي جزء من المشفرين ، مما يؤدي إلي التحامهما، وفصل فتحة الفرج ، و هو ما يعرف باسم "الرتق"(١) الذي اشتهر أيضا باسم "الختان الفرعوني"، رغم أن المصريين القدماء لم يعرفوا هذا النوع من الختان (٢). و مما لا شك فيه أن هذه الطريقة في إجراء الخفض تؤدي إلي الإصابة بنوع من البرود الجنسي عند الإناث .

= والمنظمات و الروابط الإسلامية في مختلف دول العالم ، بالاضافة إلي حوالي ٥٠٠ عالم و طبيب و فقيه من حوالي ٢٥ دولة عربية و إسلامية و غيرها من دول العالم . قدم الباحثون ٢٦٠ بحثا في مختلف القضايا الطبية المعاصرة و الشريعة الإسلامية ، و ناقش المؤتمرون منها ١٨٠ بحثا . و كان المؤتمر العالمي الأول للطب الإسلامي قد عقد بالكويت عام ١٩٨١م .

(١) البار ص ٣٣ (الحاشية) ، وانظر المقريزي ، ص ١٩٥ .

(٢) غليونجي ، ص ٥٣٥ .

و في شبه الجزيرة العربية ، توجد الآن مناطق تمارس عملية خفض الإناث ، أما عن عملية ختن الذكور ، فإن هناك بعض المناطق مثل اليمن و جيزان و نجران و أبها ، يترك أهلها أطفالهم إلي ان يبلغوا سن الشباب ، بل يفضلون إجراء عملية الختان قبل موعد الزواج بوقت قصير . و تجري هذه العملية بطريقة أشبه بالتعذيب ، حيث يقف الشاب - الذي بلغ سن الرجولة - المراد ختنه ، ثم تُقطع القلفة كلها و معها الجلد الخارجي لعضو الذكورة[1]، و هي تعتبر عملية سلخ للعضو ذاته . و يعتبرون هذه العملية إختبار للشاب لإثبات صلابته و رجولته ، فعليه ألا يتحرك أثناء إجراء العملية ، و ألا يظهر أي توجع ، وإلا اعتبروه غير صالح للزواج . و جدير بالذكر أن هذه الطريقة السيئة آخذة في الانقراض من هذه المناطق في السنوات الأخيرة .

و قد اعتاد بدو جزيرة العرب علي ختان ابنائهم الذكور بعد سبعة أيام ، و أحيانا بعد أربعين يوما من الولادة ، في حين يترك بعضهم هذه المسألة إلي ما بعد ذلك . أما أعراب قبيلة "هذيل" التي تسكن بالقرب من مكة المكرمة ، فقد اعتادوا علي ختان أبنائهم قبل موعد الزواج مباشرة[2].

---

(١) البار ، ص ٣٢ (الحاشية) .

(٢) صبري (أيوب ، باشا) مرآة جزيرة العرب ، ترجمة و تعليق د. أحمد فؤاد متولي و د. الصفصافي أحمد المرسي ، الجزء الثاني ، طبعة أولي الرياض ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ٣٨٦ .

و كان حفل ختان الشاب يضم جمعــا غفيرا من أصدقاء الفتي و أحبابه فضــلا عن الأهل و الأقارب ، بل كانت الدعــوة تـوجه أيضا إلي القاطنيــن في القــري المجاورة لحضــور هذه الحفلات . و كان المدعوون يقدمون إلي المختتن، أو عائلته ، بعضا من الأغنام و الإبل و الأبقار ، حســب مقــدرة كل منهــم ، و يراعي ان تصل هــذه الهدايا قبل موعد الختان و العــرس بعــدة أيام . و كان المدعوون يتوجهون إلـي مكان العــرس في جماعــات تضم كل منها ما يقــرب من خمسين أو ستين شخصا ، لأن التوجه إلــي حفــلات العرس فرادي ، يعتبــر مــن الأشياء المذمومة عند العــرب. و كان المدعوون يطلقون نيران بنادقهم إلـي أن يقتربوا من قرية العريس . وعندمايقتربون ينشدون معاأشعاراكلها مديح لأوصاف العريس ،و كان بعضهم يرقــص و يلعب بالبنادق أمام الجموع المتجهــة إلي مكان العــرس . وعندما يســمع أقرباء العريس هــذه الأصوات ، يخرجون لاستقبال المدعوين بأشعار المــدح و طلقات البنــادق ، و يصحبونهم حتــي الأماكن المخصصة لهــم. و أماكن إقامة الضــيوف ، لا تكون وسط المنازل و الخيــام ، بل تكون خارج القــرية ، في الوديان أو في أحضان الجبال .

و عندما يصل المدعوون إلـي الأماكن التي خُصصت لهم من قبــل ، يقــدم صــاحب العرس لكل عشــرة منهم خروفا و مقــدارا كافيا من الأرز و وعــاءً كبيرا ، و يقومون بإعــداد طعامهم ، حيث يذبحون الخراف بأنفســـهم و يســـوونها و يطبخون الأرز بمرقهــا .

و يتجمع المدعوون بعــد ذلك في مكان العــرس ، و يُخصص مكــــان يشــعلون فيه نيــران كبيرة ، و يقسمون أنفســهم إلي مجموعات ، تقــف

كل مجموعتين حول نار من النيران ، و تقوم كل مجموعة بذم المجموعة الأخري أو مدحها ، و يستمرون هكذا حتي الصباح .

و في اليوم التالي يتجمع كل المدعوين و هم يلعبون ببنادقهم لعبة " الأردة " - و هي لعبة الحرب التي تشبه رقصة الحرب عند العرب - تتقدمهم مجموعة من رجال اهل " العريس " المراد ختانه ، و تأتي خلفهم النساء ، حتي يصل جميعهم إلي الميدان المخصص للختان . و عندئذ ، ينزوي الشاب مع شخصين من أقارب الفتاة ، و الخاتن الذي سيقوم بإجراء العملية نفسها . و أثناء إجراء العملية ، يكون الشاب واقفا،يقرض الشعر الذي يفتخر فيه بشجاعته،و يعدد نسبه أبا عن جد ، و يكون الخاتن أمامه مشغولا بختانه ، و بعد حوالي دقيقتين تكون العملية قد انتهت ، علي الرغم أنها كانت تتم بسلخ العضو كله . و يصل الفتي بعد ذلك إلي الكرسي المعد لجلوسه [١].

و تذكر بعض الروايات [٢]، ان الفتي هو الذي يقوم بعملية الختان لنفسه ، و تتم هذه العملية أمام الفتاة نفسها . و من العيب أن يحدث أثناء إجراء هذه العملية أي نوع من البكاء أو الصراخ أو العويل أو ما شابه ذلك من قِبَل الفتي ، و إذا ما حدث اي شئ من ذلك ، فإن هذا الفتي يسقط حقه في الزواج من هذه الفتاة [٣].

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .

(٣) انظر : البار ، ص ٣٢ .

و فـي مصـر سبق أن ذكرنا أن عادة خفـض الإناث قد مُنعـت علي المسـتوي الرسـمي مما أدي إلي تقلص انتشـارها ، و إن كانتبقاياها لازالت موجودة بين بعض الأوساط ، خاصة في صـعيد مصـر ، و علي وجـه التحـديد ، فـي قراه . و علي أية حال ، فإن مسـلمي مصـر الذيـن يحرصـون علي خفـض بناتهم حتي الآن ، لا يعلنون عن ذلك ، ولا يدعـون أحـدا لحضـور هذه المناسـبة ، ولا تظهـر عليهم أية مظاهر للفرح ، بـل يعتبرونه من العيب الشديد أن يعلن المرء عن خفاض ابنته مهما كان عمرها . و تقتصـر مراسم يوم خفاض الإناث علي استدعاء القابلة التي تقـوم بإجـراء هـذه العمليـة . و تخفض الأنثي غالبـا فيما بين الخامسـة و السـابعة من عمـرها .

أما ختـان الذكـور من الأطفال ، فيحظي باهتمام كبير من المسلميـن فـي مصـر . فالمصري يعتبـر ختان طفله علامـة علي الرجولة ، و تتضـح بهجـة الأسـرة و فرحها بهـذه المناسبة في القري ، أكثر منها في المـدن . فأهل القـرية بطبيعتهم يظهرون فرحتهم في الغالب عند إنجاب الذكـور، ويعتبرون يوم ختانهم مناسبةيفتخرون فيهابأن العائلةقدزادت رجلا جديـدا . وهم يختنون أطفالهم في الغالب فيما بين عامهم الرابع و السادس ، و إن كان بعض أهل المـدن يحرصون علي ختان أطفالهم خلال الأسـبوع الأول مـن ولادتهـم .

و يقـوم بإجـراء العملية في قري مصـر ، شخص مـدرب و متـمرس يعـرف باسـم "حـلاق الصحة" أو "حـلاق القرية" ، وإن كانت مهنته الأساسية هـي قص شـعر الرأس و حلاقة الذقـن ، إلا أن خبرته تؤهله أيضـا

للقيام بعمليات الختان في القرية . أما في المدن ، فإن حلاق الصحة قد يجد مجالا في الأحياء الشعبية للقيام بإجراء عملية الختان و لكن غالبية أهل المدن يختنون أطفالهم في الوقت الحاضر علي أيدي طبيب جراح ، سواء كان ذلك في المنزل أو المستشفيات الحكومية أو العيادات الخاصة .

و يفضل الوالدان في المدن ، إجراء العملية لطفلهما فيما بين اليوم الثالث و اليوم السادس لولادته ، و إذا لم يتمكنا من إجرائها في هذا الوقت - بسبب تدهور حالة الأم الصحية وانشغال الأهل بها ، أو بسبب حالة الطفل الصحية و عدم قدرته علي تحمل متاعب العملية - فإن الطبيب يري إجراءها بعد مرور حوالي ثلاثة أسابيع من تاريخ ولادته ، و ذلك لأن جسم الطفل في أيامه الأولي يكون مكتسبا قدرته علي تجلط الدم من جسم الأم ، و يفتقد الطفل هذه المقدرة بعد أسبوعه الأول لولادته ، ثم يكونها الطفل بنفسه بعد حوالي ثلاثة أسابيع لولادته.

و الأسر التي تختن أطفالها في المستشفيات ، أو العيادات الخاصة تقيم إحتفالا بهذه المناسبة بعد عودتها إلي المنزل ، يحضره الأهل و الأقارب و الجيران . و تكره بعض الأسر الإعلان عن ختان طفلها ، خاصة إذا أجريت العملية للطفل مبكرا بعد ولادته ، و ذلك خوفا من الحسد ،وحتي لا يصاب الطفل بمكروه ، حسب اعتقادهم . فمن المعتقد عند مثل هذه الأسر ان الإعلان عن اختتان الطفل قد يؤخر إلتآم الجرح ، بل يجلب آلاما مضاعفة في موضع الختان . و هناك أقوال مأثورة تدعو إلي ذلك و ترددها هذه الأوساط ، منها : "أظهروا زواجكم ، واخفوا طهوركم ".

أما فــي قــري مصــر علي وجه العموم ، فإن المسـألة تختلـف كثيـرا حيث ان الإعـلان عن ختان الطفل يعتبـر من الأمور الأساسية التي تهتـم بها الأســرة حتي تكتمل بهجتهم و فرحتهـم بهــذه المناسـبة ، و يكـــون ذلك بإقامة الإحتفالات التي تتفاوت في حجمها حسب مركز العائلة فـــي القــرية و حسب قدراتهاالمادية . ففــي هذه الإحتفالات ، تذبح الذبائـح و تقام الولائـم ، و تطلق الأعيرة النارية ، و تقام حلقات للتحطيب و الرقص بالعصي و الرقص علي الأحصنة ، و غيرها من مظاهــر الفــرح . و فــي هـذه المناســبة ، تَسْتَقدم بعض العائلات ، الراقصات و فرق الطرب و الغنـــاء من المدينــة ، أما العائلات المحافظــة المتدينة ، فإنها تقصـر حفلها علي دعـوة المقرئين و المنشدين للإســتماع منهم إلي آيات القرآن الكريـــم و الأغانــي و التواشيح الدينية ، و يُتبـع ذلك بتقديم الولائم إلي المدعويـن. و من المعتاد فــي هذا اليوم ، ان يلبس الطفل جلبابا جديدا أبيضا ، ويضع علــي رأســه طربوشا احمرا ، و تُخَضّب كفتا يديه و قدماه بالحِنّــاء . ويُعَلّق في كتف الطفل قطعــة صغيرة من جريد النخيل ، يبلغ طولها حوالي عشـــرة سنتيمترات ، و تكون مربوطة في خيط كالدوبار ، تنزل من احد كتفـــي الطفــل ، متقاطعة مع جســده ، حتي تصل إلي وسـطه ، علي الجانب الآخـر و تظل معلقة علي هذا النحو طوال أيام ختانه ، حتي يبــرأ تماما . وتعتقـد بعـض الأسـر ان هذا من شـأنه دفع الأذي عن الطفل ، و يجنبه حــدوث أيـــة مضاعفات في موضـع الختان .

و بعد إجــراء العمليــة ، أو أثناء احتفالات الختان ، يقدم الأقارب و المدعوين إلي الطفل المختون بعض الهــدايا التي تكون غالبا في شـــكل مبلغ من المال ، يعــرف بـ "النقــوط" ، الذي يعتبر دَيْنًا علي والدي الطفــل ،

يُـرَدّ بمثله أو أكثر منـه في منـاسـبات مقبلة ، أو قد يكـون دَيْنـا مردودا اليهما ، قـدماه فـي مناسبات سـابقة .

و تحرص بعـض العائلات فـي قري مصـر ، علي ختان طفلها بجوار أحـد أضرحة أولياء اللـه الصالحين ، بإعتبارها من الأماكن المباركـة، . و ينـذر البعض بتقديم ذبيحة ، تُذبح و تُوزع لحومها فـي هذا اليـوم ، و تترك بعـض الأسـر خصلة من شـعر طفلها ، لا تُقص - منذ مولده - إلا فـي يوم ختانه . و من أهم هـذه الأماكن التي يأتي اليهـا الناس من أقصي الصعيـد لختان أطفالهم ، مقام السيد أحمـد البدوي بمدينة طنطا ، و ذلـك خـلال أيام الاحتفالات التي تقام هناك بمناسـبة مولـده (رضي الله عنه) . ففـي هـذه المناسـبة ، يلتقي عـدد كبير من الأطفال ، يختتنون جماعـة دون أي اتفاق سـابق بين ذويهم ، ولكن ما جمعهم هـو هذا التقليد الـذي يتكر ر كل عام ، في مناسبة الاحتفال بالمولد الذي يستغرق عدة أيام .

و فـي دولة الجـزائر ، تختلف مظاهـر احتفالات الختان أيضا تبعا لاختلاف العادات و التقاليـد في كل منطقـة . و سـاعد علي وضوح هـذا الاختلاف ، إتساع الرقعة الجغرافية التي تمتـد من الشرق إلي الغرب مـن ناحية، و تمتد من الشمال حيث ساحل البحر المتوسط ، إلي الجنوب حيـث الصحراء الشاسعة من ناحية أخري . وإلي جانب هذا العامل الجغرافي ، فإننا لا نغفل أهمية العامل الزمني و دوره في تعميق هوة الاختلاف بين منطقةوأخري في احتفالات الختان ، فما نجده اليوم من مظاهر هذه الاحتفالات ما هـو إلا نتاج لما ورثه هذا الجيل في كل منطقة ، من أجيال متعاقبة .

و الجـــزائريون ـ و هم علي مذهب مالك ـ لا يخفضـــون الإنــــــاث و يمارســـون ختان الذكـــور كغيرهم من المسلمين . و هم يختنون أطفالهـم ، فـــي الغالب ، فيما بين الســـنة الخامسة و العاشـــرة من أعمارهم . و قـــد ارتبطت عملية إجــــراء الختان عند بعضــهم ببعض الإعتقادات التي قـــد ترجـــع إلي عبادات وثنية قديمة ، ففي بعض ضواحي جيجل [١]، تأخذ بعــض الأســـر أطفالها إلي نبع ماء ، أو إلي شجرة معينة ، لإجــراء عملية الختــان بجـــوارها ، اعتقادا منهم أن هـــذه الأماكن مباركـــة .

و عملية إجــــراء الختان و مظاهـــر الاحتفال بها ، تختلف من منطقـــة إلي أخري في قري الجزائر و مدنها . ففـــي القرية ، يقوم بإجرائها رجـــل مســـن خبير و متمرس ، ورثها في الغالب عن آبائـــه ، في حين اتجه معظـــم أهل المدن في الوقت الحاضـــر إلي إجرائها علي يدي طبيب جراح ، ســـواء كان ذلك فـــي المســـتشفيات أو خارجها . و إذا كان الطبيب يستخـــدم الأدوات الجراحية العصـــرية ، و العقاقير الطبية المعتمدة من المؤســـســـات الرسمية ، فإن الخاتن في القرية يستعمل عقاقير شـــعبية ، بجهـزها بنفســـه كالصبغة الحمراء ، و الرمـــاد ، كما يستخدم مُح [٢] البيض للتطهير و تلطيـف آلام الطفل فـــي موضع الختان .

---

(١) جيجل Jijel احدي ولايات الساحل الشمالي بجمهورية الجزائر ، تقع علي البحر المتوسط ، في المنطقة المحصورة بين مدينة الجزائـــر العاصمة في الغرب ، و مدينة عنابة في الشرق .

(٢) المُـحُّ و المُحَّـة : صُـفْرَة البيـــض .

و قد تتفق بعض الأسر - سواء في المدينة أو القرية - علي تحديد يوم معين لختان أطفالهم بشكل جماعي ، و تجري عملية الختان واحتفالاته في مكان واحد عند احدي هذه الأسر . و فضلا عما يشيعه هذا التجمع من فرح و بهجة في أكبر مساحة من الحي أو القرية ، فإن هذا الأسلوب يقلل من النفقات المادية التي تتحملها الأسرة الواحدة في هذا اليوم .

و في السنوات الأخيرة ، تشهد الجزائر صحوة إسلامية ، إنعكست مظاهرها علي جوانب عديدة ، منها الختان ، الذي ارتبط بمناسبات دينية كالأعياد ، و ذكري المولد النبوي الشريف . وتعتبر ليلة القدر - ليلة السابع و العشرين من شهر رمضان - من أهم هذه المناسبات التي تجري فيها عملية الختان . فقبيل ليلة القدر ببضعة أيام ، يدعو إمام المسجد أهل الحي لإحضار أطفالهم الذين هم في سن الختان ، إلي المسجد في هذه المناسبة . و يأتي كل طفل مع ذويه في أبهي حلله ، مرتديا جلبابا أبيضا و واضعا فوق رأسه طربوشا أحمرا ، و مخضبا يديه و قدميه بالحنّاء. و يقوم بإجراء عملية الختان ، طبيب جراح ، يُدعي إلي المسجد في هذا اليوم ، و يُؤدي مهمته هذه دون مقابل مادي ، انما علي سبيل التطوع ، لوجه الله تعالي . و جدير بالملاحظة ، ان عملية الختان التي تجري في المساجد ليلة القدر ، أكثر شيوعا في المدن ، عنها في القري ، و هو تقليد حديث إلي حد ما ، انتشر بعد الصحوة الإسلامية في دولة الجزائر، أي من الممكن تحديد زمن ظهوره علي وجه التقريب بفترة ، الستينات من هذا القرن .

و فـي مدينـة "العلمـة" ـ إحدي المـدن الصغيرة بولاية سطيف [١] ـ يفضل غالبيـة الجزائريين الآن إجـراء عملية الختان في المستشفيات علي يـدي طبيب جـراح ، و بعـد عودتهم إلي المنزل ، يقيمون بعـض الإحتفـالات التي يـدعي إليها الأقارب و الأصدقاء و الجيران ، و تقدم فيها المأكـولات و المشـروبات . و مع ذلك ، فإن الطريقة التقليدية المتوارثة ، لإجـراء الختـان والاحتفال بـه ، لا تزال باقية في بعض جهات المدينة . فقبـل موعـد الختان بأيام قليلـة ، يرفع أهل الطفل رايـة خضراء فوق سـطح منزلهم ، لإعـلام أهل الحي أو القرية ببـدء الإسـتعداد لإجـراء الختـان واحتفالاته . و تبدأ تجهيزات المكان الذي ستتم فيـه العمليـة ، فيعلق فـي السـقف منديل أخضر و "رديف" [٢] إمرأة ، و يحضرون قصـعة [٣] كبيـرة ، مملوءة بالتراب أو الرمال ، لإجراء العمليـة فيها . و يقوم بإجـراء العمليـة رجل مـدرب متمرس ، ورث هـذه المهنة أبا عن جـد ، مسـتخدما عقاقير شـعبية موروثة ، يجهزها بنفسـه ، منها الرماد و الصبغة الحمراء و مُخ البيض لتلطيف الآلام في موضع الختان . و عند الإعلان عن بدء إجـراء العمليـة تُسـمع الزغاريد ، و الأغاني الخاصة بهذه المناسبة ، و تبـدأ الرقصـات ذات الطابع البـدوي ، و يرقص الرجال خارج المنزل علي الأحصنة ، و تطلق الأعيرة الناريـة . و عندما يوضـع الطفـل فـوق القصعـة ، المملوءة بالتراب

(١) سـطيف Setif ، احدي ولايات المرتفعات الشرقية و الوسطي ، يكسوها الجليد معظم فصل الشتاء ، تقع إلي الغرب من ولاية قسنطينـة ، و تبعد عن ساحل البحر المتوسط ، إلي الجنوب من جيجل ، و إلي جنـوب شرق مدينة الجزائر العاصمة .

(٢) أي "خلخال" .

(٣) عبارة عن إناء مصنوع من الحطب أو عيدان العنب الجافة ، و هو مـن المشغولات اليدوية ، ويستخدم في حفظ الخبز أو الكسكس . وتوجد الآن أيضا قصعـة مصنوعة من الألمونيوم .

أو الزمال ، و بينما يتهيـأ الخاتن أمامه لإجـراء عمليـة القطـع ، تقيـد حـركة الطفل ، و يحاول الحاضرون إلهائه بشتي الطـرق ، فيحـركـون "الرديـف" المعلـق فـي السقف حتي تصـدر عنه الأصـوات التي تشغل الطفل و تلفت إنتباهـه . و بعـد قطع القلفة تدفن فـي تراب القصعة ، ثم ترفعها أكبر الحاضرات سـنا فوق رأسها ، يصاحبها جميع الحاضرات من نسـاء و فتيـات و أطفال ، فـي موكب فرح ، و يخرج الجميع بعيـدا عن المنـزل لدفن هـذه القطعـة الآدميـة في التراب ، بكل إجلال واحترام . و بعد ذلك يقـدم أهل الطفـل إلـي المدعوين ، المأكولات ذات الطابع البدوي ، ومـن أهم هـذه المأكولات و أشـهرها ، "الكُسْـكُسْ" . و يقدم المدعوون ـ حسـب مقـدرة كل منهم ـ إلي الطفل مبلغا من المال ، يعرف في مثل هذه المناسبات بـ "النقوط" . و جدير بالإشارة ، أن الناس فـي هـذه الأرجاء ، يفضلون أن يكون موعدختان أطفالهم موافقالزمن إثمار الرمان ، أي في نهاية فصـل الصيـف ، و بداية الخريـف .

أما فـي العراق ، فإنهم يختنون أطفالهم الذكـور بين السنة الرابعـة و السادسة من عمرهم ، إذا ما تم الختان خارج المستشفيات . و تفضـل بعـض الأسـر العراقية إجـراء الختان في خلال السـبعة الأيام الأولـي لولادة الطفـل ، خاصـة إذا حـدث ذلك في المستشفيات ، علي أيـدي طبيب جـراح .

و غالبـا ، يقـوم بإجـراء عمليـة الختان في العراق ،رجال متخصصون من قبائل "العباسيين"، و هم أتراك من أصل عـربي ، يعيشون في المنطقـة الشـمالية علي الحدود العراقيـة التركيـة ، و ينتشـرون في أرجاء العـراق

خلال شهري يونيو و يوليو - أي في الصيف - ليقوموا بإجراء الختان للأطفال . و الخاتن من قبائل العباسيين هو فقط الذي يقوم بإجراء الختان ، ما دامت هذه العملية تتم خارج المستشفيات ، فلا يعرف العراقيون "حلاق الصحة" أو "المزين" أو "المجرب المتمرس" الذي تعرفه مجتمعات إسلامية أخري . و يعرف الخاتن من قبائل العباسيين بإسم "الزعرتي" ، و هو يقوم بعملية القطع دون مخدر ، وإن كان يستعمل بعض العقاقير الطبية الشعبية التي يقوم بتجهيزها بنفسه .

و الوقت المناسب لإجراء عملية الختان في جنوب العراق هو وقت الفجر ، أما في الشمال فإنها تجري في وقت غروب الشمس و إن كان بعض أهل الشمال لا يلتزم بساعة معينة من ساعات اليوم لإجرائها . و تجري العملية علي دقات قوية جدا للدفوف و الطبول ، تصاحبها أيضا موسيقي قوية ، و الغرض من هذا الجو المصاحب، هو إلهاء الطفل أثناء عملية القطع .

و تختلف الإحتفالات المصاحبة للختان حسب اختلاف المناطق في العراق و حسب مركز العائلة الإجتماعي والاقتصادي ، أي تبعا لثراء الأسرة. و جدير بالذكر ، أن الظروف الأمنية التي فرضتها الحرب الإيرانية العراقية قد أثرت علي احتفالات العراقيين في حوالي العشر السنوات الأخيرة في المناسبات المختلفة ، و من بينها احتفالات الختان .

و علي أية حال ، فإن اكراد العراق لا يحتفلون بختان أطفالهم علي الإطلاق . أما في منطقة الموصل - شمال العراق - فإنهم يحتفلون بإقامة

حلقات أشبه بحلقات الحواة . و المعتاد في هذه المناسبة ، أن يلبس الطفل جلبابا أبيضا أثناء ختانه و طوال فترة الاحتفالات ، و يقص شعره قبل ختانه بيوم واحد ، و هو اليوم الذي يدعي فيه الأقارب و الأصدقاء لحضور حفل الختان . و تقام الولائم في الليلة السابقة ليوم الختان ،وقد تستمر هذه الولائم لمدة ثلاث ليال متتالية ، يُقدم فيها الطعام و الشراب للأهل ، حسب إمكانات العائلة . و في الليلة التي تقام فيها وليمة الختان ، تأتي بعض العائلات براقصات من "الغجر" لإحياء الإحتفالات التي قد تمتد إلي وقت متأخر جدا من الليل .

و ظاهرة الختان الجماعي موجودة في بعض جهات العراق ، فقد يتفق عدد من عائلات القرية أو الحي علي ختان أطفالهم في يوم معين يحددونه ، فتجري عمليات الختان لجماعة الأطفال في أحد منازل هذه العائلات . و قد تقوم إحدي العائلات الواسعة الثراء ، بدعوة بعض أطفال القرية أو الحي لإجراء عملية الختان في نفس اليوم الذي تقوم فيه بختان أحد أطفالها . و هذا تقليد من شأنه ان يرفع عن كاهل العائلات الفقيرة أعباء عملية الختان واحتفالاته .

و صابئة العراق لا يختتنون ، وهم يتمركزون جنوبا في ميسان (العمارة) ، و ذي قار (الناصرية) . و لكن إذا ما أشهر أحد الصابئة إسلامه ، كان لزاما عليه أن يختتن مهما بلغ عمره عند إعلان إسلامه .

أما المسلمون في دولة تشاد ، فيختتنون الذكور و الإناث علي السواء

و السن المناسب لإجراء هذه العملية عندهم ما بين السادسة والثانية عشرة تقريبا ، و غالبا ما تتم قبل السنة العاشرة ، فقد يواجه الصبي الأغلف مضايقات من أقرانه إذا تجاوز سن العاشرة دون ختان ،إذ يعيرونه بسبب قلفته .

و يقوم بإجراء عملية الختان للذكور "المزين" أو ما نسميه "بحلاق الصحة" و قد تجري أيضا علي يدي شخص كبير السن متمرس . و في الآونة الأخيرة، اتجه كثير من التشاديين في المراكز و المدن ، إلي إجرائها في المستشفيات علي يدي طبيب جراح .

أما بالنسبة لخفاض الإناث فتقوم بإجرائه "القابلة" ، سواء في القري أو المدن . و تكتفي القابلة عند الخفض بقطع طرف البظر دون مبالغة في القطع أي بالطريقة المعتادة عند المسلمين، والتي حددتها السُنَّة .

وقد كان للإسلام أثر واضح علي غير المسلمين في تشاد ، حيث يمثل المسلمون النسبة الأكبر من سكان البلاد (قد تصل إلي حوالي ٨٥٪ من السكان) فاحتكاك المسلمين الدائم بغيرهم جعل كثير من المسيحيين و الوثنيين يمارسون عملية الختان ، و قد ترفض العروس - من غير المسلمين - عريسها عندما تكتشف أنه غير مختون . فالنساء في تشاد يفضلن المختونين من الرجال ، و يرفضن ممارسة الإتصال الجنسي مع غير المختونين ، مما دفع الكثيرين من غير المسلمين إلي الإختتان .

و تصاحب عملية الختان احتفالات خاصة ، تختلف من منطقة إلي أخري في تشاد ، كما ان إطارها تحدده إمكانات الأسرة و ثراؤها . و تختلف احتفالات الختان بشكل واضح في القري عنها في المدن .

ففـــي قري تشاد ، يفضلون إجــراء الختان الجماعي لعدد من الأطفـــال يصل إلي العشرة،حيث يتفق الأهل علي ختانهم في يوم واحد وفي إحتفال واحـد ، ويلبس كل طفل يوم ختانه ثوبا أبيضا جديدا، وتحضره أسرته إلي مكان خُصص لإجـــراء الختان مع غيره من الأطفال ، و يقوم "المزين" بإجراء الختان لهـم جميعا . ولا يتقاضـي المزين ـ و كذلك القابلة ـ في القري اي أجـرنقـــدي من أهـل المختونين ، و لكن يكفيه الاشتراك في الوليمة ، ثم يأخذ نصيبـــا من الوليمـة و الذبائـح .

و تقام الولائـم في يـوم الإختتان ، و تُذبح الذبائح ، و تقدم الهدايـا للطفـل المختون ، خاصـة من الأعمام و العمات و الأخوال و الخالات . و قـد يـوعـد الطفل بالزواج من ابنة عمه أو عمتــه مثلا ، كما نقول ـ خاصة فـــي قـــري مصـر و صعيدها ـ "فـلان لفـلانة"، ولا يكـون هذا الوعد ملزمـــا للطفل أو أهلـه عندما يكبـر ، و لكن يقصـد به الإشـارة إلي أن الصبـي قـد أصبح رجلا في يوم ختانه .

و يظل الطفل مقيما فـي مكان ختانه سبعة أيام ، يقوم برعايتـــه صحيا شخـص يدعي "الحسـيب"، و قد يكـون هذا "الحسـيب" واحدا مـن الإخـوة ، أو صديقا للعائلـة ، و يقـوم بواجباته تطـوعا .

و اليوم السابع للختـان ، يعـرف في تشـاد بيـوم "الكحيلـة"، و فيـه يسـتحم الطفل للمـرة الأولي بعـد ختانه بمساعدة "الحسيب"، و يلبســه ثوبا جديدا آخـر ، ثم تأتـي العمـة أو الخالة فتمسـح وجـه الطفل ،وتضـع "الكحل" فـي عينيــه . ثم يخرج جميع الأطفال المختونين في موكب واحـــد

إلي ساحة متفق عليها ، حيث يقوم الأهل و الأقارب بإعطاء طفلهم المختون بعض النقود ، كـ نقوط ، ثم يؤخذ كل طفل إلي منزله بعد هذه الإحتفالات .

أما في المراكز و المدن ، فتتم عملية الختان علي يدي طبيب جراح ، و يقتصر الإحتفال علي يوم الختان فقط بإقامة وليمة للحاضرين دون إقامة أية مراسم في اليوم السابع .

و خفاض الإناث في تشاد - تقوم به القابلة سواء في القري أو المدن ، ولا يصاحبه أية إحتفالات ، ولا توجه الدعوة إلي أحد لحضوره .

خاتمـــــــة

الختان : أصلــه و نشــأتـــه

يتضح لنـــا مما تقـــدم ، أن شعوبا و قبائل كثيرة عرفت الختـــــان و مارســته منذ زمـــن قديـــم ، يصعـــب تحديده علـــي وجـــه الدقـــة و قـــد اختلفـت الأســباب و الدوافـــع التي دفعـت كلا من هذه الشـــعوب و القبائل لممارسة عادة الختان . فمارسته بعض الشعوب من منطلق ديني،بينما تجريـه شعوب أخري لأسباب طبية و صحية ، في حين أنه شاع بين شعوب اخري لأسباب أخلاقية،ويمكننا القول أن الشعوب والقبائل التي مارست الختان،دفعهـا إلي ذلك في الغالب سبب ـ او اكثر ـ من الأسباب الآتيـــة :

أولا : أســباب دينيـة :

١ ـ ارتبط الختان عنـــد كثير من الشعوب و القبائـل في أفريقيا وأستراليا مثلا ، بطقـــوس و شـــعائر دينية ، و هـــو قديم عندها قـــدم طقوسها وشعائرها . و من هـــذه الشـــعوب التي اهتمت بالختــــان للقيام بواجباتها الدينيـــــة زنـــوج البمبارا و الأقزام في أفريقيا ، و كثير من ســـكان أستراليا . وكانت عمليـة الختان من المتطلبـــات الضرورية في مصـــر القديمـة لكل من ينشـــأ تنشـــئة دينية ، و كل من يخصص للخدمـــة الدينية في المعابـــد .

٢ ـ ارتباط الختانبإبراهيم عليه الســـلام : فيمارس اليهـــود الختان بإعتباره عـلامة "حلف الـــدم" أو "العهـــد الأبـــدي" بين الإلـه من ناحيـة ، وابراهيم ونسـله من ناحية أخـــري ، و قد أكـــدت فقرات العهـــد القديم علي ذلك كثيـــــرا كمـــا أســـلفنا .

و أختتن الســـيد المسيح متبعا ســـنة ابراهيم ، و شريعة موسي عليهمـــا الســـلام . و عرفت المســـيحية ختان الجســـد في أوائل عهدها ، علي نحـــو

ما عرفتـه اليهـودية ، حتي أن ظهـر القديس بولس بآرائه التي أدت إلي عـدم التمسـك بالختـان .

و عُرف الختـان عند عـرب الجاهليـة منذ أيـام إبراهيم و هاجـر فمارسـوه في الرجال و للنسـاء علي السـواء ، كما عرفـه الصابئة الحنفـاء لأنهم يتبعـون ملة إبراهيم عليه السـلام .

و أختتن المسـلمون لأن الختان عندهم من تمام الحنيفية ملة إبراهيـم و لو أنـه لم يـرد أي ذكـر صريح لـه في القـرآن الكريم . لكن العلمـاء و الفقهـاء إعتبروه بالنسـبة للمسلمين بمنزلة الصبغ و التعميـد للمسيحييـن (البقـرة ١٣٨ ، النحل ١٢٣) ، كما أن الأحاديث النبويـة الشريفـة حدثتنـا عنـه في أكثر من موضـع و مناسـبة كما أسلفنا .

٣ ـ ارتباط الختـان بالقرابين البشـرية : حيث كان الإنسـان فـي الأزمنـة القديمـة ، يقـدم نفسـه ، أو أحـد اطفاله قربانا للرب ،فاستعاض عن ذلك بتقـديم جـزء من جسـده ، يتمثل فيما يقتطع منه عنـد الإختتان . و هناك رأي يقـول أن الختان كان نوعا من القربـان عنـد بني إسرائيل قديمـا .

٤ ـ ارتباط الختان بعبادات الإخصـاب : يبـدو أن للختـان صلة عند بعض الشـعوب التي تتوجـه فـي عباداتها إلي الآلهـة المتعلقـة بالخصـوبة و الإنمـاء .

٥ ـ الطهـارة و النظافـة : لما للختـان من أهميـة في نظافة الفرد وطهارته رأي بعض فقهـاء المسلمين ضرورة الإختتان حتي يـؤدي المسـلم الفـروض

الواجبة عليه من صلاة و حج و خلافهما ، علي الوجه الأكمل . فالصلاة تفسد لفساد الطهارة ، و إذا بقيت القلفة في الأرغل ، تتعرض للبول و يستحيل معها الطهارة التامة .

ثانيا : أسباب صحية و طبية :

أدركت بعض الشعوب أن للختان أهمية للوقاية الصحية من الأقذار التي تتعرض لها الأعضاء التناسلية . فقد تتسبب هذه الأقذار التي تتجمع في القلفة ، في إحداث التهابات ميكروبية متكررة ، مما ينتج عنه حبس البول و ضيق مجري فتحة البول . كما أشارت الأبحاث إلي أهمية الإختتان في تقليل إحتمالات الإصابة بسرطان عنق الرحم، أو سرطان عضو الذكورة . لذلك ، وجدت هذه الشعوب ان الختان هو إحدي سبل النظافة التي تقي الجسد من الإصابة ببعض الأمراض، و كان المصريون القدماء و العبرانيون من بين هذه الشعوب التي رأت ذلك .

ثالثا : أسباب أخلاقية :

من المعتقد عند بعض الشعوب ان الأقلف من الرجال لا يشبع من الجماع ، و كذلك الحال بالنسبة للبظراء من النساء ، و قد يؤدي ذلك إلي انتشار الزنا و الفاحشة . فالختان يساعد علي تعديل الشهوة ، و يحد من طغيانها ، في الرجال و النساء . و يبدو أن عرب الجاهلية أدركوا أهمية ذلك ، كما أدركه المسلمون أيضا .

رابعا : الختان دليل علي الرجولة :

تعتبر بعض القبائل الختان دليلا علي الرجولة ، فتضعه ضمن طقوس

انتقال أبنائها إلي جماعة البالغين . و تشتمل هذه الطقوس علي عدة إختبارات بدنية شاقة يجتازها الصبي لإثبات بلوغه و نضجه و رجولته. و قد أشرنا إلي أن مثل هذه الطقوس متبعة عند كثير من الشعوب في أفريقيا و غينيا الجديدة ، و عند الزنوج علي سواحل خليج غينيا في أفريقيا الغربية . و يظن أن المصريين قد اعتبروا الختان علامة علي رجولة الفتي ، إلي جانب ما ذكرناه عن حرصهم علي ختن الصبي الذي يكرس للخدمة الدينية في مستقبل حياته .

و قد عرفنا من البحث أن أصل الختان في اليهودية يرجع إلي إبراهيم عليه السلام ، لكن وجود الختان عند أحد الشعوب في زمن مبكر يسبق عصر إبراهيم ، يجعلنا نفكر بجد في البحث عن أصل منشأ الختان في تاريخ البشرية بعيدا عن ابراهيم عليه السلام . فقد عرف المصريون القدماء الختان قبل حوالي ٤٠٠٠ ق.م. ، أي في زمن يسبق عصر إبراهيم عليه السلام بما يربو عن الفي عام تقريبا .ونحن لا نميل إلي التسليم بما ذهبت إليه بعض الآراء التي تقول ان سبب ممارسة العبرانيين للختان هو احتكاكهم و تأثرهم بالمصريين أثناء اقامتهم في مصر قبل خروج موسي عليه السلام . فمن المعروف أن الذين أقاموا منهم في مصر لم يكن كل العبرانيين ، و أن جزءا منهم كان مقيما وسط الكنعانيين في أرض كنعان . و إذا ذهبنا بظننا إلي أن العبرانيين قد تأثروا بالمصريين في هذه الناحية ، فاننا لا نستطيع أن نؤكد بأن هذا العامل كان السبب الوحيد الذي جعل اليهود فيما بعد يختتنون . و إذا تصورنا جدلا ، أن العبرانيين لم يقيموا في مصر طوال تلك الفترة التي قاربت الأربعة قرون ، بل لوتصورنا إنعدام الإحتكاك بين العبرانيين و المصريين في ذلك الزمن ، هل يذهب

بنـــا الظـــن إلي تخيل اليهــود و اليهــودية دون ختان ؟

إنه من الضـــروري عنـــد مناقشـــة هــذه المســألة أن ننظـــر و نتأمــل فـــي دائرة أوســع من تلك الدائــرة التي عاش فيهـــا المصريون القدمـــاء و العبرانيون - جغرافيـــا و زمنيـــا . و من العناصـــر التي يهمنا تسليـــط الأضــواء عليها في هــذه الدائـــرة ، ما يلـــي :

١ - إن شعوبا و قبائل كثيرة - غير المصريين و العبرانيين - مارســت عادة الختـــان ، واختلفـــت طريقـــة إجـــراء العمليـــة باختلاف الشعوب والقبائل، و رغم بعـــد المســـافات بين بعضهـــا البعض ، و صعـوبة الاتصـــالات في تلك الأزمنـــة القديمة ، و عـــدم وجـــود أيـــة احتمالات لإحتكاك بعضها بجماعات أخـري تختتن ، فإنا نجـــد الختان يُمارس فيها ، لأســـباب اختلفت في كل شـــعب عن الآخـــر ، علـــي نحـــو ما أوضحناه من قبـــل . لكن السبب الرئيسي علـــي أية حال ، كان نابعا في الغالب من داخـــل كل شعب أو قبيلـــــة ، مســـتندا علي إعتقادات و أصـــول دينيـــة راســـخة و خاصة بهذا الشـــــعب أو هـــذه القبيلـــة .

٢ - مع إنتشـــار الإســـلام ، إنتقلت عادة الختان إلي بعض القبائـــل - فـــــي أفريقيا مثلا - لكن هـــذا الإنتقـــال لم يكن ســـببه مجـــرد إحتكاك المسلمين بهـــذه القبائل ، بقـــدر ما كان ســـببه اعتناق هـــذه القبائل للإســـــلام، واعتبـــار الختان عنـــدهم عـــلامة تميزهم عن غيرهم من غير المسلمين .

٣ - هناك قبائل في أفريقيا وأستراليا ، مارســـت الختان منـــذ زمن قديـــم ضمن طقوسـها و شـعائرها الدينيـــة . و رغم أننا لا نستطيع تحديد الـــزمن الـــذي بدأت فيـــه هـــذه القبائل ممارســـة هـــذه الشعيرة علي وجـه الدقـــة،

و ما إذا كانت قد عرفتها قبل معرفة المصريين القدماء لها ،أو بعدهم، فإنه مما لا شك فيه أن معرفة غالبيتها لها لم تكن نتيجة أي إحتكاك بالمصريين .

٤ - توجد جماعات و شعوب كثيرة لا تمارس الختان ، رغم إقامتها وسط شعوب تختتن ، أو رغم إشتراك حدودها مع حدود شعوب أخري تمارس الختان . فهناك كثير من الدول غير الإسلامية التي تقع علي حدود العالم الإسلامي مثلا ، لا تمارس شعوبها عادة الختان ، رغم توافر عوامل الإحتكاك . و كثير من فرق الصابئة لا تمارس الختان، رغم إقامتها وسط شعوب تختتن . و الجماعة المسيحية الأولي التي نشأت في البيئة اليهودية ، مارست الختان ، ثم تحولت عنه ، و لم تتمسك به ، رغم استمرار إقامتها آنذاك في نفس البيئة اليهودية. و عاش المسيحيون بعد ذلك وسط شعوب اسلامية تختتن ، و ظلوا هم علي عدم تمسكهم بالختان .

٥ - حاول الرومان منع المصريين القدماء من الاختتان ، كما حاولوا ذلك مع عرب الجاهلية ، و مع اليهود أيضا ، مما أدي إلي حدوث كثير من المصادمات و الثورات للمحافظة علي هذه العادة . و لم نسمع قط أن الرومان نجحوا في القضاء علي عادة الختان عند الشعوب التي كان لهم سلطان عليها ، و لم يحدث أن أخذ الرومان الاختتان عن أي شعب من هذه الشعوب ، رغم احتكاكهم الدائم بها آنذاك .

نخلص مما تقدم ، أن القول بأن شعيرة الختان في اليهودية قد أخذت عن المصريين القدماء ، هو أمر يحتاج إلي إعادة نظر .

فالختان من أهم الشعائر في اليهودية ، و قد حرص اليهود علي إجرائه في موعده ، بمقدار حرصهم علي المحافظة علي أقدس الأيام عندهم ، و هو يوم السبت ، و بلغت أهميته ، بل و أهمية المحافظة علي إجرائه في موعده ، إلي درجة أنه لا يبطل قداسة السبت إذا ما وافق اليوم الثامن لولادة الطفل ، يوما من أيام السبت . ويتضح لنا من أسفار العهد القديم و التلمود أن أهمية الختان في اليهودية ، تفوق إلي حد بعيد أهميته كشعيرة في ديانة المصريين القدماء .

ولا يغيب عن ذهننا أن المصريين القدماء قد عرفوا الختان و مارسوه في زمن أقدم بكثير من زمن ممارسة العبرانيين له . فإذا كان الأخيرون يرجعون بأصل الختان إلي إبراهيم عليه السلام ، فإن المصريين قد مارسوه قبل ذلك بما يزيد عن ألفي عام تقريبا ، كما ذكرنا من قبل . و هنا نصل إلي تساؤل يطرح نفسه علينا : هل المصريون القدماء هم أول من مارس الختان؟ و إذا كانت الإجابة بالنفي ، فأين أصل الختان ومنشأه ؟

لا نستطيع التأكيد علي أن المصريين القدماء هم أول من مارس الختان ، و حتي نكون أكثر دقة ، يمكننا القول أن أقدم الآثار المادية التي وصلت إلي أيدي العلماء حتي الآن ، و التي تشير إلي الإختتان عند شعب من الشعوب ، هي الآثار المصرية القديمة ، و إذا كنا لا نستبعد وجود آثار مصرية أخري ، أقدم مما اكتشفت لم تصلنا بعد - بسبب أن حفائر الآثاريين لم تهتد إليها ، أوبسبب أن خاماتها لم تستطع أن تقاوم عوامل الزمن فتحللت و ضاعت - فإننا لا نستبعد ذلك أيضا فيما يتعلق بآثار الشعوب الأخري . و بوضوح

أكثر ، قد تكون هناك شعوب أخري عرفت الختان و مارسته في تاريخ متزامن مع معرفة المصريين القدماء له ، بل لا نستبعد إحتمال وجود الختان وسط جماعات ، هنا و هناك ، عاشت في زمن يسبق العصر الذي مارس فيه المصريون الختان . و قد يكون من سوء حظ البحث العلمي ، أن هذه الشعوب و الجماعات لم تترك شيئا من آثارها يشير إلي قيامها بإجراء الختان ، و ربما كان لها من الآثار ما يسجل ممارستها له ، بيد أن هذه الآثار قد تحللت بفعل عوامل الزمن ، أو أن باطن الأرض لم يكشف عنها بعد .

و يشير إنجيل برنابا - كما ذكرنا من قبل - إلي أن أصل الختان يرجع إلي أبيناآدم عليه السلام . و من ناحية أخري ، جمع السيوطي وغيره من العلماء سلسلة من الأنبياء و الرسل الذين ولدوا مختونين،وكان أقدمهم تاريخيا ، آدم عليه السلام . و إذا كان ما أوردناه في هذا الشأن يشير إلي أن آدم وُلد - مختونا بطبيعته،مخالفابذلك ما نُسب إلي عيسي عليه السلام في إنجيل برنابا ، حيث جاءفيه قوله أن آدم قد ختن نفسه بنفسه ، فإنه مما لا شك فيه - من وجهة نظرنا- أن الختان كان معروفا و موجودا في تاريخ البشرية الباكر ، منذ زمن آدم عليه السلام .

فإذا كان هناك من يعتقد أن أصل الختان يرجع إلي زمن إبراهيم عليه السلام ، فأين كانت كل الأجيال السابقة لإبراهيم من الختان؟ إننا نستبعد أن تكون الأجيال التي تتابعت فيما بين زمني آدم و إبراهيم عليهما السلام ، قد تركت الختان نهائيا ، خاصة إذا وضعنا

في اعتبارنا أن الأحاديث الشريفة تعتبر الختان من "الفطرة" التي من بين معانيها : "ابتداء الخلق".

و الأرجح ، أن ختان آدم لم يكن مصحوبا بأمر يقضي بأن يختتن نسله من بعده ، فترك بنو آدم هذه السُنَّة من بعده ، أو ربما إلتزم بها قلة قليلة من بنيه ، حتي جاء زمن إبراهيم عليه السلام، فكان الختان من الخصال التي ابتلاه الله سبحانه و تعالي بها، فأتمهن و أكملهن ، و صار الختان منذ ذلك الحين سُنَّة في نسل إبراهيم من بعده ، عند كل من اتبع ملته . فاليهود يختتنون، ليس بسبب الأمر الصادر لابراهيم فحسب ، لكن بسبب أن الأمر بالإختتان قد شملهم هم أيضا (تك ١٧ : ٩ - ١٤) . أما المسلمون فيختتنون لأنهم من أتباع ملة إبراهيم ، الذين أمرهم الله سبحانه و تعالي بالحفاظ علي سنته عليه السلام (النحل ١٢٣) .

أما خفاض الإناث ، فغالبية ما ورد فيه من أحاديث ضعيفة ، ولم يرد أي ذكر له في القرآن الكريم أو العهد القديم . و أرجع بعض المؤرخين أصل الخفاض إلي هاجر ، حيث اعتبروها أول من خفضت من النساء . و يجدر بنا أن نسجل بعض النقاط في هذه المسألة :-

١ - إن خفاض هاجر لم يذكر في القرآن الكريم أو السُنَّة النبوية أو العهد القديم .

٢ - لا توجد في أيدينا حتي الآن أية آثار مادية تساعد علي تأكيد حدوثه .

٣ - ما ورد من روايات في هذا الشأن يظهر لنا أن خفاضها لم يكن

بمحض إرادتها ، و لم يكن أمرا من الله سبحانه و تعالي ، بل كان عقابا لها من سارة ، الزوجة الأولي لإبراهيم .

٤ ـ يتضح لنا من الفقرة السابقة ، أن الخفاض هنا لم يكن بدوافع دينية أو صحية أو أخلاقية ، و هي الأسباب التي دفعت غالبية الشعوب التي عرفت الختان إلي ممارسته .

٥ ـ لا بد أن نضع في اعتبارنا أن هاجر مصرية الأصل ، و أن المصريين كانوا يختنون الذكور و الإناث ، مما يجعلنا نظن أن هاجر قد خفضت علي طريقة المصريين في زمن سابق علي عقابها بالخفاض (للمرة الثانية) علي يدي سارة ، إن صح وقوع هذا العقاب .

٦ ـ يبدو أن الخفاض انتقل إلي الأجيال التالية لجيل هاجر ، بعد أن لمسوا فيه فائدة ما ، ولا يعقل أن يكون سبب إنتقاله إليهم هو مجرد الرغبة في تذوق ألم العقاب الذي فُرض علي هاجر .

٧ ـ مارس عرب الجاهلية خفاض النساء ـ كما ختنوا الذكور ـ لأنهم ورثوه عن أجيال سابقة ، فلما اعتنقوا الإسلام ، لم يجدوا في القرآن و السُنَّة نصا صريحا يحرمه علي نحو ما حُرِّمت عادات جاهلية كثيرة فظل الخفاض باقيا بين نساء المسلمين ، لكن فقهاء الإسلام إختلفوا في وجوبه أو ندبه ، بل إن فريقا منهم لم يقره أبدا ، و قد ذكرنا تفصيل ذلك من قبل .

* * *

المصـــــادر والمراجــــــع

أولا : مصادر و مراجع باللغـــــة العربيــــة

- القــرآن الكريـــم .

- الكتــاب المقـــدس ، اي كتب العهد القديم و العهد الجديد ، دار الكتاب المقـدس ، القاهـرة ، ١٩٧٠م .

- انجيل برنابـــــا .

* * *

- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني) ، الكامل فـــي التاريخ ، ج١ ، ط ٥ ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيـــــروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

- ابن الأثير (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد) ، جامع الأصـــول في أحاديث الرسول ، حقق نصوصه و خرج احاديثه و علق عليـــــه عبد القادر الأرناؤوط ، ج ٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

- ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل ، المخصص ، مج ١ - السفر الثانـــي المكتب التجاري للطباعة و النشر ، بيروت (د . ت) .

- ابن عابدين (محمد أمين) ، حاشية رد المختار لخاتمة المحققين محمد أميـن الشهير بابن عابدين ، على الدر المختار : شرح تنوير الأبصـــار في فقه مذهـب الإمام أبي حنيفة النعمان ، و يليه تكملة ابن عابدين لنجل المؤلف ، ج ٦ ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

- ابن العربي (الإمام الحافظ) ، عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي ، ج ١٠ دار الفكـر بيروت (د . ت) .

- ابن قيم الجوزية (الامام شمس الدين محمد بن أبي بكر) ، تحفة المودود بأحكام المولود ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

- . . . . ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، حقق نصوصه و خرج أحاديثه و علق عليه شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط ، ج ١ ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ببيروت - مكتبة المنار الإسلامية بالكويت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م .

- ابن كثير (الإمام أبو الفداء اسماعيل) ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، ج ١ ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

- ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ، لسان العرب دار صادر - دار بيروت للنشر ، بيروت ١٩٥٦م - ١٣٧٥هـ .

- أبو داود ، سنن أبي داود ، راجعه و ضبطه و علق عليه محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج ٤ ، دار الفكر ، (د . ت) .

- أبو زيد (محمد) هدي الرسول صلي الله عليه و سلم - مختصر من زاد المعاد ، ط ٥ ، المكتبة التجارية الكبري بمصر القاهرة (د.ت) .

- الأسيوطي (ثروت أنيس ، د.) ، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين: الجماعات البدائية - بنو إسرائيل ، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة (د.ت) .

- البار (محمد علي د.) خلق الإنسان بين الطب و القرآن ، ط ٣ ، الدار السعودية للنشر و التوزيع ،جدة،١٤٠٢هـ - (١٩٨١م .

- برستد (جيمس هنري) ، فجر الضمير ، ترجمة د. سليم حسن، مراجعة عمر الإسكندري و علي أدهم ، القاهرة ١٩٥٦م .

- بروكلمان (كارل) ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس و منير البعلبكي ، ط ١٠ ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٨٤م.

- بن شريف (محمود ،د.) ، الأديان في القرآن ، ط ٥ ، شركة مكتبات عكاظ ، جدة - الرياض - الدمام ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

- البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي) السنن الكبري وفي ذيله الجوهر النقي للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني ، ج ٨ ، دار الفكر بيروت (د. ت) .

- الترجمان (عبد الله) ، تحفة الأريب في الرد علي أهل الصليب تحقيق و تقديم د. الطاهر المعموري ، ط ١ ، دار بو سلامة للنشر ، تونس ، ١٩٨٣م .

- الترمذي (الإمام الحافظ ابوعيسي محمد بن عيسى بن سورة) سنن الترمذي حققه و صححه عبد الرحمن محمد عثمان ، ج ٤ ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، الحيوان ، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون ، ج ٧ ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .

- جلال (ألفت محمد ، د.) ، العقيدة الدينية و النظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم ، الناشر مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

- جنيبير (شارل) المسيحية نشأتها و تطورها ، ترجمة د. عبد الحليم محمود ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت (د.ت) .

- جيار و ريتر (د. يوليوس جيار ، د. لويس ريتر) ، الطب والتحنيط في عهد الفراعنة ، تعريب أنطون زكري ، القاهرة (د.ت)

- حسن (محمد خليفة ،د.) ، الحركة الصهيونية - طبيعتها و علاقاتها بالتراث الديني اليهودي ، ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١م .

- دراز (محمد عبد الله ، د.) مدخل إلي القرآن الكريم ، ترجمة محمد عبد العظيم علي ، مراجعة د. السيد محمد بدوي ، دار القلم الكويت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

- ديشان (هوبير) ، الديانات في أفريقيا السوداء ، ترجمة أحمد صادق حمدي ، مراجعة د. محمد عبد الله دراز ، دار الكتاب المصري - سلسلة الألف كتاب (٥٢) ، القاهرة ١٩٥٦م .

- ديورانت ول) قصة الحضارة) ، مج ١ ، ج ٢ (الشرق الأدني)،ترجمة محمد بدران ، ط ٣ ، القاهرة ،، ١٩٦٥م .

- .... ، مج ١ ، ج ٣ (الهند و جيرانها) ، ترجمة د. زكي نجيب محمود ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

- زايد (عبد الحميد،د.) ، الشرق الخالد ، دار النهضة العربية،القاهرة ، ١٩٦٦م .

- الزبيدي (محمد مرتضي) ، تاج العروس ، مج ٦،٥،٣ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت (د.ت) .

- زناتي (محمود سلام ، د.) ، الإسلام و التقاليد القبلية في أفريقية دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩م .

- السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الحسن الخثعمي) ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لإبن هشام ، و معه السيرة النبوية للإمام أبي محمد عبد الله بن هشام المعافري قدم له و علق عليه و ضبطه طه عبد الرؤف سعد ، ج ١ ، دار الفكر ، بيروت (د.ت) .

- السيوطي (الحافظ جلال الدين) ، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية الإمام السندي ، مج ١ ، ج ١ ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠م .

- الشابشتي (أبو الحسن علي بن محمد) ، الديارات ، تحقيق و نشر كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥١م .

- شبل (فؤاد محمد) ، مشكلة اليهودية العالمية - دراسة تحليلية لآراء المؤرخ العالمي ارنولد توينبي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، سلسلة المكتبة الثقافية (٢٤) ، القاهرة ١٩٧٠م .

- شلبي (أحمد، د.) ، مقارنة الأديان (١) اليهودية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

- شلبي (رؤف ، د.) ، أضواء علي المسيحية ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٩٧٥م .

- صبري (أيوب ، باشا) ، مرآة جزيرة العرب ، ترجمة و تقديم وتعليق د. أحمد فؤاد متولي و د. الصفصافي احمد المرسي ، ج ٢ ، ط ١ ، دار الرياض للنشر و التوزيع ، الرياض ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) ، تاريخ الأمم و الملوك ، ج ٣ ، دار الفكر بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

- ظاظا (حسن ،د.) ، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ، نشر مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة، ١٩٧٥م .

- العابد (محسن د.) ، مدخل في تاريخ الأديان ، نشر دار الكتاب سوسة ، تونس ، ١٩٧٢م .

- عاقل (نبيه ، د.) تاريخ العرب القديم و عصر الرسول ، ط ٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- عبد المجيد (محمد بحر ،د.) ، اليهودية ، نشر مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

- العسقلاني (أبو الفضل شهاب الدين أحمدبن علي بن محمدبن حجر) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، راجعه و قدم له و ضبط أحاديثه و علق عليه : طه عبد الرؤف سعد و مصطفي محمد الهواري والسيد محمد عبد المعطي، ج ٢، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

- عمارة (مصطفي محمد) ، جواهر البخاري و شرح القسطلاني ، دار الفكر بيروت ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .

- العقاد (عباس محمود) ، حياة المسيح ، سلسلة كتاب الهلال (٢٠٢)، دار الهلال ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .

- علاء الدين (محمد) ، حاشية قرة عيون الأخيار تكملة رد المختار علي الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ، ج ٧ ، ط ٢ ، دار الفكر ،بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

- علوان (عبد الله ناصح) ، تربية الأولاد في الإسلام ، ج ١ ، ط ٣ ، نشر دار السلام ، حلب - بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

- علـــي (جـواد ،د.) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٤ ، ط ١ ، دار العلم للملايين - بيروت ، مكتبة النهضة بغداد ، ١٩٧٠م .

- الغـزالي (الإمام أبو حامد) ، إحياء علوم الدين ، و بهامشه تخريج الحافظ العراقي ، و بذيله كتاب الإملاء في إشكالات الأحياء للإمام الغزالي و كتاب تعريف الإحياء بفضائل الأحياء للشيخ العيدروسي ، مج ١ ، ج ٢ ، طبعة مصورة عن طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية ١٣٥٦هـ - دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

- غليونجي (بول ،د.) الطب عند قدماء المصريين ، بحث في: تاريخ الحضارة المصرية ، المجلد الأول: العصر الفرعوني نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (د.ت) .

- فاضل (سيف الله أحمد) ، انجيل برنابا - دراسات حول وحدة الدين عند موسي و عيسي و محمد عليهم السلام ، (تحقيق) ط ٢ دار العلم ، الكويت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- فرويد (سيجموند) ، موسي و التوحيد ، ترجمة د. عبد المنعم الحفني ط ٢ ، الدار المصرية للطباعة و النشر ، القاهرة ١٩٧٨م .

- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) ، الجامع لاحكام القرآن ، ج ٢ ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م .

- القسطلاني (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد) ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري و بهامشه صحيح مسلم بشرح النووي ، مج٩، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

- الكاندهلوي (محمد زكريا) ، أوجز المسالك إلي موطأ مالك ، ج ١٤ ، ط ٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

- الكيرانوي (رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني) ، إظهار الحق، ج٢، طبعه و راجعه عبد الله بن ابراهيم الأنصاري ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت (د.ت) .

- متيز (آدم) ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، ج ٢ ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، الدار التونسية للنشر - المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٦م .

- مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم) ، الجامع الصحيح ، مج ١ ، ج ١ ، دار الفكر بيروت ، (د.ت) .

- المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار المعروف بالخطط المقريزية، ج ١ ، مؤسسة الحلبي للنشر ، القاهرة ، (د.ت) .

- المنوفي (السيد محمود أبو الفيض) ، الدين و الفلسفة و العلم ، نشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، (د.ت) .

- النجار (عبد الوهاب) ، قصص الأنبياء ، ط ٣ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت (د.ت) .

- النووي (صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٣ ، دار الفكر ،بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، السفر الأول ، ط ٢ ، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م .

- الهاشمي (طه) ، تاريخ الأديان و فلسفتها ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٣م .

- هرودیت ، هرودیت یتحدث عن مصر ، ترجمة د. محمد صقر خفاجة تقديم و شرح د. أحمد بدوي ، دار القلم ، القاهرة، ١٩٦٦م .

- وافي (علي عبد الواحد ،د.) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧١م .

- اليازجي (ندره) ، رد علي اليهودية و اليهودية المسيحية ، ط ٢ ، دار طلاس للنشر ، دمشق ، ١٩٨٤م .

ثانيا : المصادر و المراجع الأجنبية

תנ"ך : ספר תורה נביאים וכתובים

The British And Foreign Bible Society,
London, 1960 .

האינציקלופדיה העברית, כרך עשרים-ושלושה, חברה
להוצאת אנציקלופדיות בע"מ, ירושלים, תשל"ג, תל-אביב

ששה סדרי משנה, מפורשים בידי חנוך אלבק,
מנוקדים בידי חנוך ילון, סדר מועד, הוצאת מוסד
ביאליק, ירושלים-'דביר', תל-אביב . 1973 .

- Encyclopaedia Judaica, Vol.5, 2nd printing, Jerusalem,
1973,(Circumcision, cols.567-578).

- Freehof (Solomon B.), Reform Jewish practice And Its
Rabbinic Backgruond, Hebrew Union college
Press, Cincinnati, 1944.

- Freud (Sigmund) , Moses And Monotheism, Transl. by
Katherine Jones, Vintage Books: New York
1955.

- Rosenbaum (Samuel) , To Live As A Jew, edited by
Abraham J. Karb, Ktav puplishing House,
Inc., U.S.A. 1969.

- The Oxford Classical Dictionary, Ed, by N.G.L. Hammond
and H.H. Scullard, 2nd ed.,At The Clarendon

Press, Oxford, 1979.

- The Universal Jewish Encyclopedia, Vol. 3, KTAV Puplishing House, INC. New york, 1969.

- Weber (Max) , Ancient Judaism, Translated and Edited by Hans H. Gerth and Don Martinda The free press, Glencoe, Illinois, 2nd printing 1960.

المحتويـــــات